مسرحية

الآن يغنون ثانية

Nun singen sie wieder

للكاتب السويسري/ ماكس فريش
قدمها للموقع / أ. قاسم طلاع

www.nosous.com
المكتبة الالكترونية للنصوص المسرحية

الفصل الأول
المشهد الأول

هربرت ضابط عسكري
كارل جندي.

هربرت : بعد ساعة سيخيم الظلام... يجب علينا الذهاب، فقد نفذنا الواجب الذي علينا.
كارل : نعم، بعد ساعة سيخيم الظلام.
هربرت : ماذا حدا بك..؟
كارل : لقد نفذنا الواجب الذي علينا...
هربرت : انك تنظر إلى العالم، وكأنك أنت الذي أطلقت الرصاص على نفسك!
كارل : علينا أن ننهي كل شيء، ونذهب...
هربرت : حالما ينتهي الراهب من تغطية القبور.
كارل : لقد نفذنا الواجب، الذي علينا...
هربرت : لقد قلت هذا، الآن، للمرة الثالثة!
كارل : في الربيع، عندما تذوب الثلوج، في الربيع ستكون عندي إجازة... في الربيع، عندما تخضر الأرض وتشرق الشمس، تظهر هذه القبور أيضا. نحن نستطيع أن نأمر الراهب : احفر قبرا، طوله كذا وكذا، وبسرعة! نحن نستطيع أن نأمر : والآن، أعيد التراب إلى القبر ثانية! نحن نستطيع أن نعطي الأوامر إلى كل هذا العالم، ولكن إلا الزرع، الذي ينمو فوق القبور. في الربيع سيرى الناس القبور، عندما تذوب الثلوج، في الربيع عندما أكون في إجازة، عند والدتي وأتناول الكعكة.
هربرت : دخن لك سيكارة!

هربرت يعطيه سيكارة.

كارل : الكعكة....
شكرا...
وفروا الطحين والسكر، سنة بكاملها، من أجل هذه الكعكة!

هربرت يشعل له السيكارة.

عندما كنت صبيا، كانت الكعكة، لي، كل شيء.
هربرة : دخن سيكارتك ولا تثرثر. يبدو إنك مرهق.
كارل : في الربيع سأكون في إجازة.
هربرت : كل شيء مسموح به، إلا الشعور بالإرهاق والتعب. إن هذا يؤدي إلى فقدان الأعصاب، و
عدم القدرة بالسيطرة عليها، وهذا ليس من ميزاتنا.
كارل : بعد ساعة سيخيم الظلام... ماريا تكتب، تسمع أصوات العصافير. في هذا الفصل من السنة!
ماريا تكتب، ينابيع المياه تنتظر، تحت الثلوج، إجازتنا...
" عبر الهواء يترك الربيع حزمته الزرقاء تتموج "
هل تعرف موريك*..؟
هربرت : ربما أحسن منك.
كارل : أنا أعشقه.
هربرت : " رائحة العطر المعهودة
تمر عبر هذه الأرض.
البنفسج يحلم ...
يريد القدوم،
يسمع من بعيد ألحان القيثارة الخافت!
أيها الربيع، سمعت، أنت الذي سيكون هنا. "

صمــت...

كارل : هربرت! هل بالإمكان أن تقول لي، لماذا أطلقنا الرصاص على، هؤلاء، الواحد والعشرون شخصا..؟
هربرت : هذا ليس من شأنك.
كارل : أنا الذي أطلق الرصاص عليهم -
هربرت : كانوا رهائن.
كارل : كانوا يغنون. هل سمعت، كيف كانوا يغنون..؟
هربرت : الآن صمتوا.

كارل : لقد كانوا يغنون إلى أن سقطوا.
هربرت : الآن صمتوا.
كارل : كانوا يغنون إلى أن سقطوا.

هربرت يتطلع إلى الجانب الآخر.

هربرت : إنني متأكد، أن الراهب سيصنع من هـذا أسطورة، لـو تركناه علـى قيد الحياة، لأنه سيتكلم في كل مكان.
كارل : هربرت!
هربرت : ماذا..؟
كارل : هل هذا يعني، بأن الراهب أيضا ـ
هربرت : انـه يدفن الأموات، وكأنـه يدفن تحـت التراب بذورا، مثل التي، فـي الربيع، تنمو وتصبح أزهارا جميلة.
كارل : هربرت، الراهب لاذنب عليه ـ
هربرت : هل سألنا الرهـائن عن ذنبهم..؟ انــه يدفنهم، وكأنـه يعتقد، فعـلا، بـأنهم سيبعثون ثانية، هـل ترى كيف يعزل الأحجار عن التراب!
كارل : هربرت، الراهب لاذنب عليه ـ

هربرت يستدير.

هربرت : هل ترى هذه النقوش الجميلة..؟
هناك في وسط الهيكل..؟
كارل : أي نقوش..؟
هربرت : الصلب والانبعاث، شيء جدير بالمـلاحظة، بيزنطـي، ربمـا مـن القرن الثاني عشر، لازال محافظ على هيأته... أن هذا يدفعني إلى التفكير بوالدك، ياكارل.
كارل : لماذا..؟
هربـرت : لــو كـان بإمكـان مدرسـنا رؤيـة هـذا، للعـق أصــابعه العشـرة. ولألقـى محاضرة : أن وجود هذه النقوش والأشكال، على هـذه الأرض التـي ولـدت عليهـا، ليس عبثا. نحن نقف أمام ثروة حضارية ... أمام العقل الـذي لا يعـرف الحـدود ... وهكذا ... الخ ...
كارل : لماذا تقول هذا الآن..؟
هربرت : علي أن أفكـر دائما بمدرسنا، أنني لم أستطع أن أرى كـل شـيء، دون أن أعرف، ماذا ستقول ثقافته، لا أعني مـن الناحية الجمالية فقط، علـى الـرغم مـن انـه كان يتحدث عـن الجمال... بالمناسبة، ماذا تعتقد، كيف حاله الآن..؟

يظهر الراهب العجوز.

هربرت : الآن أيها الأب..؟
الراهب : لقد دفنوا.
هربرت : وأنت..؟
الراهب : أنا الذي دفنتهم، كما أمرتم.
هربرت : رجل مطيع!
الراهب : ليرحمهم الله.
هربرت : وأنت..؟
الراهب : أنا..؟ لا أفهم ماذا تعني.
هربرت : ماذا..؟
الراهب : لماذا بعثكم الله إلينا.
هربرت : أنت تعتقد، إذا، بأن الله، هو الذي بعثنا إليكم..؟

هربرت يتقدم خطوة نحوه.

أقسم، بأنك سوف لن تثرثر، حينما تترك هذا المكان وتذهب.
الراهب : أنني أقسم، بأنني سوف لن أتفوه بكلمة واحدة.
هربرت : اقسم، بأنك لم تر، ما جرى أمام عينيك، اقسم بأنك لم تر كل هذا.
الراهب : أنت الذي عصم عيناي.
هربرت : اقسم بهذا!
الراهب : اقسم، بأنني لم أر أي شيء.
هربرت : وهل سمعت شيئا ما..؟
الراهب : لقد كانوا يغنون.
هربرت : اقسم، بأنك لم تسمع، وإلا سنطلق الرصاص عليك أيضا.
الراهب : علي..؟
هربرت : سأعد إلى العشرة. هل فهمت..؟
الراهب : علي..؟
هربرت : واحد، اثنين، ثلاثه، أربعه، خمسه، ستة، سبعه ـ
الراهب : إنني أقسم.

الراهب يذهب.

هربرت : لعنة الشيطان على هؤلاء الأوغاد، الذين يدعون بأنهم خدمة الله!
كارل : هربرت، لو لم نقابله، لما صار وغدا. أنت الذي جعلته أن يكون هكذا ـ
هربرت : انه الخوف، الخوف ... الكل يخافون منا!
كارل : من هذه السلطة التي نملكها.
هربرت : والروح، التي كان من المفروض أن تكون أعلى من سلطتنا ...

أين هي..؟ ألا نبحث على شيء غير هذه الروح..؟ أين هو، هذا الإله، الذي رسموه على الحيطان، منذ قرون، يرددونه على أفواههم..؟ أنا لم أسمعه ولم أره.

كارل : قبل ساعة كانوا يغنون ـ
هربرت : خوف... خوف، الكل ينتابهم الخوف من سلطتنا، يقسمون اليمين، يمين كاذب، انهم في حالة من الدهشة، بأن هذا الإله، لا يستطيع إجبارنا! نحن نقبض على السلطة بقوة الحديد، حتى تقابلنا هذه الروح. دعني أعرف، فيما إذا كان هذا حقيقة عما تتكلمون عنه. أنا أطلقت الرصاص عليهم ـ دعني أرى، ولو واحد منهم ينهض ثانية! ... قتلت المئات ولم أر أي واحد منهم ينهض.
كارل : نحن لسنا سوى قتلة ـ
هربرت : نحن سنبقى في السلطة، وسنقبض عليها بقوة الحديد حتى تقابلنا الروح، الروح الحقيقية. إلا أن واقع الأمر، انه لا وجود لمثل هذه الروح أبدا. أن الملحد على حق عندما يؤكد على عدميتها. نحن سنضع العالم تحت رحمتنا، سواء كنا بحاجة إليه أم لا. لهذا أرى بأن سلطتنا لا حدود لها ـ وهنا يكمن اليأس، يأس الآخرين.

يغير مجرى الحديث.

والقس سيرمى بالرصاص أيضا.
كارل : لماذا..؟
هربرت : لأنني أنا الذي أعطي الأوامر. لقد قلت له : أحفر قبرا لهؤلاء الواحد والعشرين شخصا.
ففعل.
قلت له : أعد التراب إلى الحفرة.
ففعل.
قلت له : اقسم بالله، بأنك لم تسمع ولم تر أي شئ.
ففعل.
الآن أقول : سيطلق الرصاص على الراهب....
كارل : هذا مالا أفهمه...
هربرت : وأنت، الذي لاتفهم هذا، ستقوم بهذه المهمة.
كارل : أنا..؟
هربرت : أنا الذي يعطي الأوامر.
كارل : هربرت ـ

هربرت : بعد خمس دقائق، يجب أن يكون كل شيء قد انتهى.

كارل يقف صامتا...

ليس من المعقول أن نصدق اليمين الذي قسمه، انه حلف بإله لا وجود له، وإلا كان بإمكانه أن لا يقسم ويذهب في طريقه. انه سيثأر من أجل خيانته، عندما يكون بعيدا عن متناول أيدينا. كن على ثقة! لأنه يخاف من عندنا. أن الشيء الوحيد الذي يدفعهم للانتقام هو الخوف منا. لهذا أقول، بعد خمس دقائق سيطلق عليه الرصاص. ـ

كارل : وإذا قلت : أنا لن أفعل هذا..؟

هربرت : أنت تعرف، ماذا يعني هذا.

كارل : أنا أعرف.

هربرت : انك لن تكون الأول، كارل ـ

كارل : أنا أعرف.

هربرت : إنني سأضعك، بنفسي، على الجدار، لو تطلب الأمر، وفي الحال. صدقني، ياكارل. نحن فعلنا كل شيء سوية، كما اتفقنا. ولا يمكن، في مثل هذا الوقت، أن يفعل كل واحد منا ما يريد، وإلا كيف يمكن الاعتماد علينا.

كارل : أنا أعرفك.

هربرت : فكر جيدا.

كارل : وإذا غنيت أثناء هذا..؟

هربرت : سأمنحك فرصة خمس دقائق، كي تفكر.

كارل : وإذا غنيت أثناء هذا..؟

هربرت : بعدها لن نتكلم أبدا. إنني سأمنحك خمسة دقائق، كي تفكر.

هربرت يبتعد...

كارل : الآن يعاودون الغناء ثانية...

يظهر الراهب...
ينتظر ...

يسمع الغناء...

الراهب : طلب مني أن أحضر إليك.

كارل : الآن يعاودون الغناء ثانية...

الراهب : طلب مني أن أحضر إليك.

كارل : ماذا تريد..؟

الراهب : طلب مني، أن أحضر إليك.

كارل : قل لي شيء واحد :

الراهب : ماذا..؟
كارل : لاشيء... أنت حلفت كذبا. لماذا فعلت هذا..؟
أنت كذبت على ربك، الذي تحمله في رقبتك.
عشرون سنة، هكذا قلت هذا، عشرون سنة، بحالها، قضيت حياتك في هذا الدير، صليت وكنت تخدم ـ
الراهب : هذا ما فعلته فعلا.
كارل : قبل صياح الديكة! ألم يقال هذا..؟
قبل صياح الديكة...
لماذا فعلت هذا...؟
الراهب : كل واحد مسؤول عن ذنبه.
كارل : بعد ساعة يخيم الظلام...
قل لي :
لو سرت على هذا الطريق ...
عبر الغابات، والحقول،
ولو عبرت الأنهار، والمستنقعات، مادام الظلام يخيم على هذه الأرض،
إلى أين سأصل..؟

الراهب صامت...

قل لي، إلى أين سأصل..؟

قل لي ...
إن هذا ينقذ حياتك.

الراهب صامت..

أنا ذاهب، أكتم السر، وأحتفض به لنفسك! أنا ذاهب إلى والدتي. أقول لك، أنا ذاهب إلى والدتي!

كارل يبتعد...

الراهب : مكاني هنا. سأكتم السر، واحتفظ به لنفسي.
هروبك لن ينقذ حياتي، ولا حياتك.
أي طريق تسير عليه في هذا العالم، ـ سيقودك إلى هنا.

المشهد الثاني

ماريا مع الطفل.

ماريا : تحرر، وحلق في السماء، أيها المخلوق الصغير.
الأب في الحرب،
الأم في بومرلاند*،
بومرلاند التهبتما النيران ...
تحرر وحلق في السماء أيها المخلوق الصغير.
في الربيع، عندما تذوب الثلوج، في الربيع يأتي كارل، والدك، الذي لم تره حتى الآن. انه، يا طفلي، واحد من أفضل الآباء. وعندما يأتي، سيأخذك بين ذراعيه ... يلاعبك. أتعرف يا ولدي، أن له عينين تشبه عيناك، مثل مياه البحر الزرقاء النقية... تحرر وحلق في السماء، أيها، المخلوق الصغير!
الأب في الحرب،
الأم في بومرلاند،
بومرلاند التهمتها النيران.
آه يا إلهي، أن رغم هذا الذي يحدث، فإن الربيع قادم. منذ آلاف السنين، ومنذ أن وجدت الأرض، لم يتخلف عن حضوره، رغم ما فعله البشر : ـ الثلج يذوب، وقطرات الماء تتساقط من الشجر، لأن الشمس تشرق، تبعث بأشعتها على الأرض ... ولكن ليس في كل مكان، هناك خلف الغابات، حيث الظلال يخيم عليها... هناك البرد والرطوبة، وأوراق شجر الخريف الضائع، ذابلة، ملقاة على الأرض. ولكن السماء، من بين جذوع الأشجار، بدت وكأنها بحر ازرق نقي. ورغم هبوب الرياح، تبعث الشمس بأشعتها، مثل فضة قد ذابت في خصائل الشعر.. ومن الحقول نشم رائحة الأزهار العطرة ونسمع خرير ينابيع المياه... في الربيع، عندما تذوب الثلوج، يأتي كارل! آه يا طفلي العزيز، كم هو جميل، حينما تكون على هذه الأرض ...

كم هو جميل، حينما تكون على هذه الأرض!
يدخل المدرس.

ماريا : أعتقد، انه نائم.
المدرس : أتيت لتوي من هناك.
ماريا : و..؟
المدرس : لم يعثروا عليهم لحد الآن.
ماريا : في الربيع، إذا أتى كارل، ماذا سيقول، إذا لم ير والدته بعد الآن..؟
المدرس : نعم.
ماريا : في الربيع، إذا أتى كارل.
المدرس : أنا تكلمت معهم مرة أخرى...

ماريا : تكلمت مع من..؟
المدرس : هم غرباء، أسرى حرب. في الحقيقة، انه ليس من المفروض التحدث معهم...
ماريا : ماذا قالوا..؟
المدرس : قال لي واحد منهم : انه، كان، هو شخصيا، قد طمر تحت الأنقاض مدة عشرين ساعة، حدث هذا في بداية الحرب. هكذا قال لي.
ماريا : و..؟
المدرس : هذا كل شيء، والآن قد توقفوا عن الحفر وإزالة الأنقاض.
ماريا : توقفوا عن الحفر..؟
المدرس : لقد مرة خمسون ساعة.
إنهم توقفوا عن الحفر. إذ قيل، بأنهم سينتقلون إلى مكان أخر، ربما، لازال المطمورين تحت الأنقاض، على قيد الحياة...
ماريا : توقفوا عن الحفر.
المدرس : لهذا رجعت إلى هنا. خمسون ساعة وقفت هناك. وفقدت الأمل، بأن الوالدة، ربما، لازالت على قيد الحياة. انهم فعلوا ما كان بإمكانهم أن يفعلوا ... ثقبوا الأرض، لأنها كانت صلبة بسبب شدة البرد. الآن توقفوا عن الحفر، ولكن في هذه اللحظة، أفكر، أيضا، ربما لازالت الوالدة على قيد الحياة.
ماريا : والدتي!

ماريا تشهق بالبكاء...
لماذا كل هذا..؟
قل لي : هل أساءت إلى أحد ما..؟
إنسان مثل والدتي!...
قل لي هذا.
المدرس : نعم.
ماريا : بحق العالم، ماذا يريدون منا!
المدرس : انهم شياطين... لا يتحملون أن نكون متفوقين عليهم. هذا كل مافي الأمر. هم لا يتحملون بأننا نريد أن نصلح العالم، وبإمكاننا إصلاحه. انهم شياطين.

ماريا تصغي للحديث.

ماريا : من يطرق على الباب..؟
المدرس : من الممكن أن يكون..؟
ماريا : لا أعرف.
المدرس : أنا لست في البيت ـ
ماريا : وإذا كان كارل..؟
المدرس : هذا ما تعتقدينه كل مرة، حينما يطرق على الباب، ومنذ سنة بكاملها ـ

ماريا : سأرى، من الذي يكون.

ماريا تذهب إلى الباب.

المدرس : يا لهم من شياطين. كم بودي أن أقابلهم، ولو مرة واحدة، وجه لوجه.

ماريا وليزل، التي حملت معها سندان من الورد.

ماريا : أنها ليزل.
ليزل : السيد المدرس ـ
ماريا : تريد أن تقدم لك سندان من الأزهار.

ليزل : من أجل زوجتك.
المدرس : من يعرف، يا ليزل، فيما إذا هي، في هذه اللحظة، بالذات، لا تزال على قيد الحياة..؟
ليزل : أنها لازالت غير ناضجة، أيها السيد المدرس. في مثل هذا الفصل من السنة، لم تكن الأزهار سوى بصيلات، في الربيع، إذا ما سارت الأمور على خير ما يرام، ستتفتح وتكون أزهارا.
ماريا : نحن نشكرك.

تضع سندان الأزهار على الطاولة.

ليزل : هل ستعود تلك الأيام ثانية، أيها السيد المدرس..؟
المدرس : أي الأيام..؟
ليزل : تلك الأيام التي كنت تتجول معنا في أزقة المدينة القديمة... قصورها، وما كانت تحتويه من متاحف وتلك اللوحات...
انه لا يمكن للمرء أن ينسى معرفتكم العميقة... شروحاتكم لها. كنت قد فتحت عيوننا لتلك القيمة الجمالية...
المدرس : كيف هو هربرت..؟
ليزل : أخي في الجبهة. في هذا الوقت، هم في إحدى الأديرة، كتب يقول : توجد هنا نقوش من العصور الوسطى وسوف تثير إعجاب مدرسنا حينما يشاهدها.
المدرس : هربرت كان أحسن تلامذتي.
ليزل : هذا ما تقوله دائما.
المدرس : هربرت كان أحسن تلامذتي، وكان يجيد العزف على الجلو، وقد عزفنا، أنا وأخوك، سوية، فترة طويلة، كل أسبوع ـ
ليزل : أعرف هذا.

تستدير فجأة إلى ماريا.

هل تعرفين، بأن كارل في المدينة..؟
ماريا : كارل..؟
ليزل : اعتقد، انه كان هو ... بل أنا متأكدة من هذا ـ
ماريا : كارل..؟
المدرس : ولدي..؟
ماريا : أين..؟
ومتى..؟
هذا مستحيل.
ليزل : مساء الأمس، عندما كنت متجهة ناحية الزاوية، التي طمرت تحتها الوالدة، سرنا سوية، جنبا إلى جنب. ولأن المكان كان مظلما، لم أسمع سوى صوته : عذرا! هكذا قال ـ
ماريا : كارل..؟
ليزل : كان صوته بالتأكيد، وإلا كيف كان لي أن أعرفه..؟ وهنا اختفى، حينما أردت التحدث إليه. المدرس : لا تجعلي الأمل يستحوذ عليك، يا ماريا. هذا ليس إلا وهم، كارل في الجبهة، مسافة من
الأميال تبعده عنا ـ
ليزل : ألم يكن عندكم..؟
ماريا : في الربيع يأتي في إجازة، هكذا كتب إلينا، في الربيع...
المدرس : ليس من اللازم أن نتحدث عن هذا الموضوع بعد!
ليزل : ألم تكن سعيدا، لو أن كارل في المدينة..؟
ماريا : آه كارل!
المدرس : انظري ... كيف تبكي الآن.
ماريا : نحن عندنا طفل، ولم يره لحد الآن. في الخريف سأكون في إجازة، هذا ما كنا نسمعه، ثم جاء الخريف، وجاء هجوم آخر.
ليزل : ربما قد توهمت فعلا.
المدرس : كان عندنا أمل كبير، ولازلنا نأمل. كان من الأحسن، يا ليزل، لو لم تتكلمي.
ليزل : لقد أصابني الفزع... لكنني تذكرت، في اللحظات الأخيرة، إنه لم يعرفني في الظلمة ـ عدوة نحوه. كارل..؟ أنا...
ماريا : هل قابلتيه مرة أخرى..؟
ليزل : أعتقد... نعم، ولكن عندما لحقت به... كان هنا شخص آخر ـ
المدرس : طبعا.
ليزل : كنت قد اعتقدت شخصيا، بأنني توهمت... رجعت، وفي الجهة الثانية، على الزاوية، قابلته ثانية، نفس الشخص، الذي كاد أن يصطدم بي قبل هذا. كارل..؟ ناديته : ألا تعرفني..؟

ماريا : و..؟

ليزل : مسكته من أكمامه، ولكنه لم يقف. كـارل! : ناديتـه : كـارل!. لـم أتركـه : أنـا أعرفك، كارل، ماذا حدى بك..؟
ماريا : كان هو..؟
ليزل : لقد رأيته مساء الأمس، كان قريبا مني، كما أنا منك الآن ـ
المدرس : هذا غير ممكـن، وإلا لكـان قـد أتـى إلينـا. لمـاذا يتسكع هنـا وهنـاك مثـل الشبح.
ليزل : كارل..؟ قال فـي الأخير، وبقى واقـف : أنا لست كارل، يـا لسـوء الحـظ، يـا طفلتـي العزيـزة، حـاولي مـع شـخص آخـر! وهنـا ضـرب علـى إصـبعي، بحيـث اضطررت إلى تركه...

يسمع، من بعيد، صفارات الإنذار.

ماريا : الآن يأتون ثانية!
المدرس : لنذهب إلى القبو.
ماريا : الآن يأتون ثانية، والطفل قد غفي لتوه ـ
المدرس : إنهم شياطين، شاطين هم!
ليزل : ربما توهمت فعلا...

يطفئون الضوء.

المدرس : إنهم شياطين. كم كان بودي أن أقابلهم وجها لوجه، ولو مرة واحده ـ

المشهد الثالث

يظهر طيارون شباب في حالة استعداد للطيران. من مكبـر الصـوت تسمع موسـيقى راقصة. يجلسون على كراسي حديثة مصنوعة مـن المعـدن، يقـرءون... يـدخنون... يلعبون الشطرنج... يكتبون الرسائل.

الملازم الثاني : كش ملك.
الآخر : أنا لا أعتقد، سيأتي دورنا هذا المساء. ألان مرة الساعة الثامنة .
الملازم الثاني : كش ملك، ألا تسمعني..؟
الآخر : هذا ما كنت أتوقعه يا عزيزي. وثمن هذا ليس إلا حصانا. أمـا بالنسـبة فهـو الملكة.
الملازم الثاني : لماذا..؟
الآخر : دورك ألان.

يضع السيكارة في فمه.

أنا لأعتقد، فعلا، بأننا سنقوم بتنفيذ المهمة الملقاة علينا. في الخارج زخات مطرية شديدة.
يدخن...

هل كنت تعرف كولونيا، عندما كانت قائمة..؟
الملازم الثاني : لا.
الآخر : أنا أيضا.
الملازم الثاني : والد جدي ترك أوربا، لأنه زهق منها. وأنا أريد أن أتركها أيضا، رغم إنني لم أطأ أرضها... كش ملك!

من المذياع يسمع، فجأة، بدلا من الموسيقى الراقصة، ترانيم من موسيقى يوحنا سيبستيان
باخ*.

عامل اللاسلكي : أغلق المذياع!
أدوارد : لماذا..؟
عامل اللاسلكي : أقول لك : أغلق المذياع!

يصبح صوت الموسيقى واطئ...

ليس باستطاعتي أن أطيق سماع مثل هذه الموسيقى.
أدوارد : أنا أبحث فقط، عما يمكن التقاطه من الموجات الهوائية، ومع هذا، فأنا أجدها جميلة.
عامل اللاسلكي : ليس المسألة كونها جميلة أم لا.
أدوارد : وإنما..؟
عامل اللاسلكي : دعني أكتب رسائلي! أنا لا أريد أن أفارق هذه الحياة، قبل أن تعرف هذه اللئيمة، ما موقفي منها...! أنت نفسك قلت، بأنها على أية حال جميلة، وأنا أجدها كذلك.

أدوارد : فماذا تريد بعد....!
عامل اللاسلكي : الأمر لا يتعلق بهذا.
أدوارد : وإنما..؟
كونها موسيقى ألمانية..؟

إنها عمل رائع.

عامل اللاسلكي يستمر في كتابة رسائله وهو صامت...

أنا لن أغلق الجهاز، قبل أن تقول لي الأسباب.
عامل اللاسلكي : أنا أجد، أن هذا الجميل مقرف.
أدوارد : سبب معقول!
عامل اللاسلكي : العالم ليس جميل. وما تحاول مثل هذه الموسيقى أن تصوره لنا، فإنه لاوجود له في
حياتنا.
هل تفهم ما أعني..؟
إن هذا مجرد خيال بعيد عن الواقع.
أدوارد : هذا ممكن...
عامل اللاسلكي : العالم ليس جميل، وإنما قبيح.
أدوارد : ولكن الموسيقى جميلة. أعني : أن الخيال جميل، كما ذكرته أنت. ما الفائدة من هذا، إذا ألغينا هذا من عالمنا..؟ أنه الشيء الوحيد الذي لا يمكن للقنابل أن تحطمه.
عامل اللاسلكي : هذا صحيح ـ وكذلك نكاتك السخيفة.
أدوارد : هذه ليس نكتة، يا صاحبي.
عامل اللاسلكي : وإنما..؟
أدوارد : أنا واحد من الذين يؤمنون بالخيال، هذا الخيال الذي لا مثيل له في هذا العلم.
هذا الذي لا يمكن أن يلمس بالأيدي أو تدميره.
هذا الذي ليس إلا رغبة، أو حنين، أو هدف.
حتى هذا له سلطته على الشعوب.
عامل اللاسلكي : هل تعتقد هذا..؟...
أدوارد : أن ملكوته قادمة لا محال. انه لا توجد حقيقة غير حقيقة الخيال. لقد بنى القبب والكنائس ودمرها أيضا. مئات من السنين كانوا يغنون... يعانون... يغتالون من أجل هذه المملكة التي من المستحيل أن تأتي ـ ولكن مع ذلك فقد صنع تاريخ البشرية بأكملها. فليس على الأرض حقيقة أكثر من حقيقة هذا الخيال.

شخص ثالث يرسم أو يخطط على علبة سكائر.

توماس : هذا ما أعتقده أيضا.
عامل اللاسلكي : ماذا..؟
توماس : كل حرب لها هدفها. وهذه الحرب أيضا. وإلا كان كل شيء عبث لا قيمة له، وما نفعله، أو نقوم به، سيكون ليس إلا جرائم نرتكبها. إن هدف هذه الحرب،

هو تثبيت دعائم السلم للجميع، وقبل كل شيء من أجلنا، نحن العمال، قبل كل شيء. من أجلنا نحن العمال...

لحظات من الصمت لسوء الفهم.

عامل اللاسلكي : كنت أعرف شخص يعزف مثل هذه الموسيقى الجميلة. كان هذا قبل الحرب، عندما كنا أصدقاء، أنا وهو. كان يتحدث حول، مثل، هذه الموسيقى، بحيث كان يثير الإعجاب في نفوسنا، هكذا كان ذكيا هكذا كان ذو خلق عالية، هل تفهم.! ومع هذا أن هذا الإنسان ذاته، هو الذي قتل مئات من الرهائن، حرق النساء والأطفال ـ بالضبط هذا الإنسان، قتلهم وكأنه كان يعزف على الجلو... بقناعة تامة...

يغلق الرسالة... ينهض...

كان اسمه هربرت.

أدوارد : ما قصدك من هذا..؟

عامل اللاسلكي : إنك لم تفقد والدتك، أباك، أو أختك الصغيرة. لا تتحدث، لأنك لم تر بأم عينيك : ـ

انهم شياطين... شياطين هم...

عسكري برتبة عريف يدخل...

الآمر : ماذا تريد..؟
العريف : علينا أن نكون جاهزين ـ
الآمر : متى..؟
العريف : الثامنة وخمسون دقيقة.
الآمر : شكرا.

ينهض الآمر ويضرب ببطء على الغليون.

هل سمعتم..؟

صمـت...

الآخر : الساعة الثامنة وخمسون دقيقة مساء..؟ هل قال....
الملازم الثاني : سنكون جاهزين. الدور لك.
الآخر : هذه المرة الثالثة في هذا الأسبوع!

الملازم الثاني : العب الآن.
الآخر : بالأمس حلمت حلما مرعبا... مقاتلاتنا تعرضت للنيران. قفزنا إلى الخارج، واحد، اثنين ثلاثة، أربعه، خمسه. كنت قد حلمت، مثل هذا الحلم، مرات عديدة : بدا وكأن مظلتي لا تريد الهبوط إلى الأرض. ولكن في النهاية، وفي كل مرة، أهبط في مسقط رأسي، بدا لي اليوم هو يوم الأحد، حيث كانت المدينة مقفرة، مملة، غريبة، تقريبا هكذا، وكأنك تعيشها قبل قرن من الزمن، الشوارع التي عرفتها، الأماكن قد تحولت، فجأة، إلى مروج خضراء ترعى فيها أغنام.المقاهي مفتوحة مثل الخرائب وقد جلس فيها أصدقائك وهم يقرءون الصحف، وعلى طاولات الرخام نمت الطحالب.لا أحد يعرف من أنت، وكأنه لم تكن هناك ذكريات عشناها سوية ولا لغة تكلمناها معا وهكذا... انه حلم فظيع!
الملازم الثاني : العب الآن.

يرتدي الآمر بلوزه.

الآمر : بنيامين..؟
بنيامين : أيها الآمر.
الآمر : كما يبدو إنك أصغر واحد بيننا... ليس من الضروري أن تبقى واقف.
بنيامين : أنا لست أصغر من الآخرين، إلى هذا الحد، الذي تتصورونه.
الآمر : انك سترى، كيف ستتعود على هذا.
بنيامين : على أي شيء..؟
الآمر : على عاداتنا اليومية. هنا صاحبنا، الملازم الثاني، الذي تعود، دائما، على ممارسة لعبة الشطرنج، إذا لم يجد فتاة، وتعود، أيضا، على الخسارة... وهناك توماس يخطط بيوتا على الورق، التي سيحصل عليها كل عامل بعد أن تنتهي الحرب. كل واحد يفعل ما يناسبه. هل تقوم بمثل هذا الواجب لأول مرة..؟
بنيامين : نعم.
الآمر : ليس في نيتي أن أخفف عنك ما نحن فيه. بإمكان المرء أن يتعود على هذا، حتى على هذه العادات التي نمارسها. أنا الأكبر سنا هنا. رجل عجوز تقريبا، أفعل هذا منذ خمس سنوات. في السابق، بعد أن ورثت من والدي تجارة الأقطان، كنت أشعر، في بعض الأحيان،
بالملل .
بنيامين : أنا لست خائف.
الآمر : خائف..؟
بنيامين : ربما تجد هذا مضحكا...
الآمر : هذا ما ستراه أيضا. هناك أشياء كثيرة نحاول كبتها وعدم ألا فصاح عنها، إذا أنت خائف أم لا... فمن الذي سيسأل عن هذا بعد ذلك..؟
بنيامين : أنا لا أريد أن أقول بأني شجاع. وأنا لست شجاع، أيضا. ولكن لست خائف. في الحقيقة أنا لا أعرف من أنا.

الآمر : كم عمرك..؟
بنيامين : عشرين... بالضبط عشرين سنة ونصف.
الآمر : تحية مني لفتاتك، إذا كتبت لها رسالة...
في مثل هذا العمر، الذي أنت فيه، قضينا أجمل....
بنيامين : أنا لا أكتب لأي فتاة.
الآمر : لم لا..؟
بنيامين : لأنني لا اعرف أي واحدة.
الآمر : هذا غير ممكن!
بنيامين : بعد أن أنهيت دراستي، كانت الحرب قد اندلعت -
الآمر : كنت أتطلع إليك، كيف تكتب. ساعتين بكاملها. هكذا لا يكتب المرء، إلا إلى فتاة يحبها.
بنيامين : أنا لا أكتب إلى أي أحد.
الآمر : أيعني هذا - بأنك شاعر..؟
بنيامين : أريد أن أكون شاعرا، أيها الآمر، إذا أبقت الحرب على حياتنا.

ينادى على الآمر.

الآمر : سآتي حالا -

الآمر يبتعد.

الملازم الثاني : أنا لن أتنازل، ولم أتخلى عن اللعبة.
الآخر : إننا لم ننتهي من اللعبة بعد، ولكن أقول لك مقدما، انك قد خسرت.
الملازم الثاني : سنرى!
الآخر : هذا لا يسعفك.
الملازم الثاني : دع كل شيء، كما هو، هكذا بالضبط، وسننهي اللعبة غدا. سيكون الدور لي.

كل واحد منهم يرتدي بلوزه.

عامل اللاسلكي : كيف يمكن للمرء أن ينسى الذي وقع..؟ أنا، شخصيا، أردت أن لا أصدق، أيضا، يا عزيزي. انه ليس بهذه البساطة، أنا أعرف! كان ليس من السهولة أن أصدق هذا : أموات وقد حطمت وجوههم بالفأس، أرجل، بأحذية أطفال، مقطعة -
أدوارد : اسكت.
عامل أللاسلكي : ومع ذلك، يا عزيزي، فقد وقع هذا : ألآف، بل مئات الآلاف - أعداد لا تحصى، أحرقوا، دمروا...

أدوارد : أرجوك أن تسكت!
عامل أللاسلكي : العالم قبيح (ليس جميل)
أدوارد : هل تعتقد، بأننا سنجعل العالم أجمل في هذه الليلة..؟
عامل أللاسلكي : أريد أن أسألك، ماذا يجب علينا أن نفعل..؟
هل يجب علينا، أن نتركهم يقتلونا..؟
أدوارد : قنابلنا لا تجعلهم أن يكونوا أحسن منا ـ ونحن كذلك أيضا.
عامل اللاسلكي : حاول أن تفعل هذا مع الموسيقى، حاول هذا ـ
أدوارد : أنا أحاول أن أفكر، وهذا كل شيء.
عامل اللاسلكي : نحن لا نستطيع أن نفعل غير هذا!
أدوارد : هذا ممكن. وهذه هي اللعنة...

صمـــت...

عامل اللاسلكي : عندما كانوا كل من والدتي ووالدي وأختي الصغيرة على قيد الحياة... يعلم الله، لن أفكر غير الذي ما تفكر به، إن هناك قانون واحد يخضع له جميع البشر، وانه لا توجد إلا حرية واحدة يتمتع بها الإنسان في كل مكان، وانه لا يوجد إلا سلام يعم الجميع ـ
أدوارد : والآن..؟
عامل اللاسلكي : آه، كنت أعتقد، بأنني أعرف هذا العالم!
أدوارد : والآن : هل تتنكر لكل شيء ـ حتى وجهات النظر التي كنت تؤمن بها..؟
عامل أللاسلكي : إنها ليست وجهة نظر، ياأدوارد، ليست وجهة نظر، إن الواقع الذي عشناه كان قلقا، غير ثابت! كان التمني، والحلم والكلمات الكبيرة ـ
أدوارد : نحن أعطينا كلمتنا لهذا العالم : تحدثنا عن العدل، وصيانة الحق، ولكن لم نجلب له سوى العنف. تحدثنا عن السلام، ولكن بذرنا الحقد والكراهية في كل مكان، وأكثر من مرة...
عامل اللاسلكي : انك لم تفقد أمك، وأبيك، وأختك الصغيرة... ولم تر بأم عينيك، كيف قتلوا أبي، رميا بالرصاص، أمام الدار، قبل أن يسأل عن الذي يحدث. أمي، وأختي الصغيرة، وكل من كان في القرية، نساء، وفتيات، وحتى الأطفال الرضع، أخذوا إلى الكنيسة، وأحرقوها بقاذفات النار... إنك لم تر هذا بأم عينيك. إنني أحسدك، وأحسد الذين من أمثالك.

أدوارد صامت...

يعلم الله، أنه لم تمر لحظة إلا وأنا أفكر في ذلك اليوم الذي يأتي ونأخذ فيه الثأر.
أدوارد : ثأر..؟
عامل أللاسلكي : هذا ليس ثأرنا ـ

أدوارد : وإنما..؟
عامل اللاسلكي : أن المسألة لم تعد أنت وأنا، فقط، وإنما البشرية جمعاء. لو أننا، جميعا، لم نكن ضحايا لهم، فما الداعي لهذا الثأر... ؟ وما همنا كذبهم وشعورهم بالعظمة. إنني أعرف، بأن هناك ما هو أفضل وأحسن من هذا : العزف على الجلو، قراءة الكتب، ركوب الخيل، وإنجاب الأطفال.... ـ
أدوارد : ربما سيحصل أكثر من هذا
عامل أللاسلكي : لا سلام مع الشيطان، مادمنا نسكن في فلك واحد. لم يبق أمامنا إلا شيء واحد، أن نكون أقوى منه!
أدوارد : تعني، قمع ـ كل الناس...
عامل اللاسلكي : إبادة، أعني، إبادة!
أدوارد : إبادة..؟
عامل اللاسلكي : انه لا يوجد غير هذا البديل بديل. ـ

عامل أللاسلكي يهيأ نفسه للذهاب إلى الواجب، بينما أدوارد لازال يرتدي ملابسه.

أدوارد : أنا لا أؤمن بالعنف، أبدا، حتى لو وقعوا، في يوم ما، بين أيدينا. انه لا توجد قوة تستطيع إبادة الشيطان ـ
عامل اللاسلكي : لماذا لا..؟
أدوارد : دائما يكون الشيطان حاضرا، حيث يكون العنف. ـ
عامل أللاسلكي : لا تتحدث هكذا! لا تحلم! إنك لا ترى هذا بعينيك ـ إنهم شياطين!...

يعود الآمر، وبيده خارطة.
الآمر : أيها الزملاء!

يتقدمون إلى الأمام...

مهمتنا ليست بسيطة. مهمتنا هي كالآتي :

بنيامين يبقى جانبا..

بنيامين : أنه شيء عجيب، ما أفكر به : ربما سنسقط، فجأة، في هاوية الموت، ولم نحس أننا في عالم الأموات. وفي نفس اللحظة، بالذات، تموت فتاة، ربما نحن اللذين قتلناها، ونلتقي على أرض مجهولة غريبة علينا. إنها ستكون الحياة، التي كان من المفروض علينا أن نعيشها، وسيحدث هذا ولكن بعد فوات الأوان...
الآمر : بنيامين..؟

بنيامين يرجع إلى الصف.

الآمر : مهمتنا كآتي :

المشهد الرابع

كارل مع والده المدرس.
كارل : ماتت والدتي ـ
المدرس : أنت لازلت لا تصدق هذا، ياكارل.
كارل : والدتي ماتت ـ
المدرس : هذه هي الحقيقة، نعم... فرحت جدا، عندما سمعت، إنك ستكون في إجازة. في الربيع يأتي كارل، هكذا كانت تقول، وكانت تكرر هذا دائما، في الربيع ـ
كارل : ليس من الضروري أن نتحدث عن هذا بعد.
المدرس : لقد طمرت تحت الأنقاض، ولم يعثر عليها لحد الآن.
كارل : وماذا بعد..؟
المدرس : تقول : ماذا بعد..؟
كارل : في الربيع، عندما تذوب الثلوج، في الربيع أكون في إجازة. في الربيع، تكون الكثير من الأمهات قد ماتوا، عندما تذوب الثلوج....
المدرس : ماذا حدا بك، يا كارل..؟ يبدو أنك في حالة نفسية مضطربة.
كارل : وأين ماريا..؟
المدرس : ماريا على قيد الحياة.
كارل : قل الحقيقة!
المدرس : ماريا على قيد الحياة، إنها هناك في الشقة.
كارل : ماريا على قيد الحياة...
المدرس : والصغير، أيضا، بصحة جيدة.
كارل : ماريا، هناك، في الشقة...
المدرس : لقد كتبنا لك كل شيء، ياكارل، بيتها أصيب، ومن حسن الحظ، كانت غير موجودة هناك. وهي تسكن، مع طفلها الصغير، عندنا.
كارل : إذا، هذا الذي حدث.
المدرس : نعم.
كارل : ماتت والدتي قبل أن أراها، وماريا، هناك، في الشقة، تنتظر إجازتي، عندما تذوب الثلوج، وحتى ماريا، سوف لن أراها...
المدرس : كارل! ما هذا الذي تقوله..؟
كارل..؟
كارل : هكذا إذا.
المدرس : آه، يا إلهي ـ
كارل : دعك من هذا.

المدرس : يا إلهي، ما الذي حدث..؟
كارل..؟
نزلت إلى القبو... التقيت، فجأة، بولدي، الذي أخفى نفسه هنا.
كيف أتيت إلى هنا..؟
أسألك للمرة الثالثة :
كيف أتيت إلى هنا..؟
كارل : مشيا على الأقدام.
المدرس : لماذا تخفي نفسك تحت، إذا كانت عندك إجازة، وماريا تنتظرك، نحن كلنا ـ
كارل : أنا لست في إجازة.
المدرس : إذا لماذا، أنت، هنا..؟
كارل : أنا هربت... مشيا على الأقدام...
المدرس : هل تعرف، ماذا يعني هذا..؟
كارل : أحسن منك...

لحظات من الصمت، كارل يضع سيكارة في فمه...

المدرس : إذا انطلقت صفارات الإنذار، الآن، والناس يأتون إلى القبو، وإذا لاحظوا وجودنا، إنهم يعرفونك، ـ أتعرف ماذا يعني هذا..؟
كارل : أليس من المفروض أن يتعرف بعضنا على البعض في آخر المطاف..؟
المدرس : هل تعرف، ما الذي تفعله أنت..؟
كارل : أعرف، ماذا فعلت أنا، لوحدي، لأنني فعلت، في مثل هذا اليوم، قبل أسبوع، أنا، كارل، أبنك الوحيد، أنا، الذي كان عنده امرأة وطفل، وأم، التي طمرت، في نفس اللحظة، تحت الأنقاض.
وماذا بعد..؟
انهم لم يكونوا الوحيدين....
المدرس : بلغ نفسك للرجوع حالا، ياكارل!
كارل : أبدا... لن أعود ثانية.
المدرس : قبل أن يراك الناس، ياكارل . قل لهم، انك ضللت الطريق... إنك ـ
كارل : كفى كلام.
المدرس : أتوسل إليك، أتضرع إليك... ألا تسمعني..؟
لقد ضعت، يا عزيزي كارل، فكر جيدا، وعد إلى صوابك، وهذا الشيء الوحيد الذي ينقذك، وينقذ ماريا، ووالدك... ارجع والتحق حالا!

كارل يتطلع إليه صامتا.

ألا تسمعني..؟

كارل : هل أطلقت الرصاص، مرة ما، على النساء والأطفال..؟
المدرس : ارجع والتحق حالا.
كارل : ليس أسهل من هذا. ينحنون ببطء تقريبا، يتساقطون إلى الجنب، بعضهم إلى الأمام... والآخر إلى الخلف...
وماذا بعد..؟ هل أطلقت الرصاص، مرة ما، على النساء والأطفال، وأثناء ما كنت تفعل هذا، كانوا يغنون..؟ أكانوا يغنون..؟

يبدأ بالغناء، غناء الأسرى، يسمع في القبو صدى صوته بقوة.

المدرس : لو سمعك أحد! وإذا أتى أحد وشاهدنا، فإننا سنضيع ونخسر كل شيء.
كارل : أنا أعرف هذا.
المدرس : هل أتيت إلى هنا، كي تجعلنا تحت رحمة الآخرين..؟
كارل : نحن ضعنا، وخسرنا كل شيء، يا والدي، حتى إذا لم يرصدنا أحد. صدقني.
المدرس : اسمع، ياكارل ـ
كارل : ولم يبق لنا سوى هذا الخيار.
المدرس : أنا أفهم شعورك ـ
كارل : من المستحيل أن تفهم هذا، لأنك لم تفعل ما فعلته أنا.
المدرس : أنت فعلت هذا بأمر! فلا ذنب علينا ـ
كارل : ألا زلت تعتقد بهذا لحد الآن..؟
المدرس : كارل! كارل!
كارل : يالها من فضاعة.
المدرس : أصغ إلي دقيقتين، ياكارل، واسمع ما أقوله لك، بعدها قرر، ما تريد أن تفعله ـ

يجلس إلى جانب ولده.

كارل : أنا أعرف بالضبط، ما تريد أن تقوله لي.
المدرس : وأنا، أيضا، أمروني أن أفعل أشياء، كنت من المستحيل أن أفعلها بمحض إرادتي، وأن أتحمل مسئوليتها، باستثناء أشياء صغيرة، وأنت تعرف هذا. ولماذا فعلت هذا..؟
كارل : النقص في الشجاعة، وليس الأسباب.
المدرس : من أجلكم فعلت هذا، من أجل الوالدة، ومن أجلك! لم يكن أمامي، في وقتها، سوى طريق واحد. أما أن أكون مدرسا، أو عاطلا تهددنا المجاعة. أنت تهزأ!
كارل : أنا لا أهزأ ـ
المدرس : في ذلك الوقت، كانت الأوضاع رهيبة، ألا إنها رغم رهبتها، كانت تحمل، أيضا، شيئا جيدا، وفعلت هذا من أجلكم، ومن أجل الوالدة.

كارل : لقد طمرت الوالدة تحت الأنقاض ـ
المدرس : من أجلك، ياكارل! لم أرد، بأن تكون ضحية. ولم أرد، بأن تفقد متطلبات الحياة.
كارل : لقد فقدتها.
المدرس : قلت نعم. وفي الآخر لم يعد الأمر متعلقا بالوظيفة أو قطعة الخبز، وإنما فيما إذا من حق المرء أن يكون عنده بيتا، على هذه الأرض، أم لا. ومرة أخرى قلت نعم، لأنني رفضت أن يسرق بيتك.
هل تفهمني..؟
كارل : وبعد.
المدرس : وتحت هذا الظرف، حاولت، في كل مرة، أن أفعل ما هو الأحسن، ياكارل ـ
كارل : لنقل ما هو المناسب.
المدرس : كنت أفكر بكم. وأنت تعرف الآن، ماذا يعني، أن تكون عندك امرأة وطفل ـ
كارل ـ وبعد.
المدرس : بعدها، لم يدر الأمر، فقط، حول البيت والغريب، وإنما أكثر من هذا، وصارت القضية تدور حول الحفاظ على رأسك، وقلت نعم. كارل! إنها مسألة ضمير أيضا : على المرء أن لا يقتل زوجته لغرض شخصي يتعلق بالأخلاق... زوجته... ولده الوحيد...
كارل : بل من الأفضل أن يقتل الآخرون!

يقف ثانية.

هل أطلقت الرصاص، مرة ما، على النساء والأطفال..؟
المدرس : أقول لك : انك فعلت هذا بأمر!
كارل : ومن أعطى الأمر..؟
المدرس : هذا ليس من شأنك . وأي أمر يصدر، فإنه من المستحيل أن تكون مسؤولا عنه ـ
كارل : وهذه هي المشكلة!
المدرس : أنت تضحك..؟...
كارل : كل كلمة تتفوه بها، هي إدانة لنا.. ـ أن ما تقوله، ليس سوى حجة نبرر فيها الاعمال التى نقوم بها، ورغم هذا، فإن هذا لا يعفينا، في نهاية الأمر، من مسئوليتنا، حتى إذا لم يكن هناك مفر آخر غير الطريق إلى الطاعة. وهذه هي المشكلة! لاشيء يحررنا من المسؤولية أبدا.إنها أعطيت لنا.... لكل واحد منا، فلا يمكن أن نتخلى، للآخرين، عنها، ليفعلوا بها ما شاءا.
ليس من المفروض أن يتنازل المرء عن حريته الشخصية ـ
وهكذا حاولنا بالتأكيد .... وفشلنا!

وهذا هو، بالتأكيد، أيضا، ذنبنا ....

صمــت....

ليس هناك طريق للرجعة، يا والدي، عليك أن تثق من كلامي هذا.

تسمع صفارات الإنذار من بعيد...

المدرس : هذا الإنذار.
كارل : مرة أخرى.
المدرس : الآن، سيأتون الناس إلى تحت. كارل! ألا تعتقد، أن ما قمت به من أعمال، وتحملت مسئوليتها، ستذهب، في نهاية المطاف، في طي النسيان..؟
كارل : أنا لا أرى، يا والدي، مخرجا لنا. هذه هي خطيئتنا.
المدرس : بلغ بالتحاقك... في كل لحظة سيأتي الناس إلى القبو... وحتى ماريا، ليس من المفروض أن تراك. إنها سوف لن تتركك حتى نكون قد ضعنا جميعا.
كارل : ماريا!
المدرس : كارل، أتوسل إليك من أجل حياتنا.
كارل : الآن تأتي إلى تحت، ماريا، وطفلنا، الذي لم أره لحد الآن... الآن سيأتون إلى تحت...

يمسك والده.

أنت الذي ستكون مسؤولا عليهم!
كارل يختفي، قبل أن يأتي الناس إلى تحت.

ليزل : هنا المدرس... ماريا، المدرس تحت. تعالي إلى تحت.
امرأة : هذه المرة الثالثة، المرة الثالثة في هذا اليوم.
البواب : أغلقي فمك ولا تتكلمي.
امرأة : أنا لم أقل سوى : هذه هي المرة الثالثة في هذا اليوم...
البواب : نحن نعرف هذا أيضا.
المرأة : آه، يا إلهي، كل ليلة نقضيها في القبو، وحتى الكلام حول هذا لا يجوز لنا - أنت، من تكون أنت، وماذا تقصد..؟
البواب : أنا من الطوارئ.
المرأة : وأنا إنسانة -
شخص ما : ونحن كلنا كذلك، أيتها السيدة الطيبة.
المرأة : هل تريد أن تمنعني من الكلام، هل تريد أن تمنعني من كل شيء..؟
لماذا نخوض الحرب..؟

هذا ما أريد أن أعرفه ـ
شخص ما : إقرأي الصحف!
المرأة : من أجل أي شيء..؟
شخص ما : هل تقرئين الصحف...
المرأة : إذا لم يسمح للمرء أن يتنفس، أو يتحدث، وإذا لم يكن هناك ضوء، لماذا لم نترك أنفسنا عرضة للموت..؟ وحتى هذا غير ممنوعا علينا...
البواب : المحافظة على الهدوء والحد من الفوضى، هو واجبي، وهذا ما تعودت عليه، وعلى هذا أكون مسؤولا ـ
المرأة : ورغم هذا أقول لك : إنها ستأتي!
البواب : ماذا..؟
المرأة : الموجة الثالثة!

يسمع من بعيد صوت انفجارات.

البواب : الحمد لله، من حسن حظنا، لم تصب منطقتنا هذه المرة أيضا....
المدرس : لا تبكين يا ماريا.
ليزل : أنها خائفة، لأنها تعتقد، بأن الطفل ميت، إلا انه في الحقيقة نائم.
المدرس : كفى البكاء، لقد مر كل شيء بسلام، هذه المرة.
ليزل : إنها أعجوبة، كيف ينام، ولم يسمع أي شيء... ألم تر كيف يحرك إصبعه الصغير..؟ أنت أيها اللعوب! انظري كيف يتنفس..؟
ماريا : نعم... نعم...
ليزل : ياله من طفل وديع!... إنه يتنفس فعلا.
المرأة : كم عمره..؟
ماريا : سنة، قريبا سيكون عمره سنة...
المرأة : عندما يكبر، فإنه لا يتذكر هذه الحرب، ومع هذا سيعرف، أين كانت تقف مدينتنا... في كل مكان، هنا وهناك، ستبدأ الحياة ثانية من جديد للذين لا يتذكروا هذه الحرب!
شخص ما : أو حرب أخرى.
المرأة : لماذا..؟
شخص ما : لأنه من المستحيل أن يتذكرها أحد.

المرأة تلفت الانتباه...

المرأة : هل تسمعون..؟ سيارات إسعاف ـ
البواب : قاتلك الله!
المرأة : وهذا، أيضا، غير مسموح به..؟
البواب : إذا لم تغلقي فمك الغبي ـ

المرأة : ماذا تفعل..؟
البواب : علي أن أسجنك، هل تفهمين هذا، يجب أن أفعل هذا... وإذا لم أفعل، من الممكن أن يرفع شخص ما تقريرا ضدي. ليس من المفروض أن تفكري بنفسك فقط، أيها المرأة! أنا، لي، امرأة أيضا...

يسمع دوي القنابل بشكل غير منقطع.

ماريا : لو كان الفصل ربيعا، لو كان الفصل ربيعا!
المدرس : الربيع سيأتي بالتأكيد.
ماريا : في الربيع يأتي كارل. سنترك هذا المكان ونسكن في الغابة، حتى لو أمطرت السماء... عندما تعرفنا على بعضنا البعض في الإجازة الأخيرة، فعلنا هذا ومكثنا هناك فترة طويلة... آه لقد كان كل شيء رائع!
المدرس : أنا أصدقك.
ماريا : لو يصبح الفصل ربيعا، ولو مرة، واحدة، أخرى!...
يدخل رجل عجوز، يبدو أنه غريب لا يعرف أحد، يتحدث إلى المدرس.

العجوز : لقد أصيبت الكنيسة.
البواب : هذا لا يهم.
العجوز : ماذا تعني..؟
البواب : سيعاد بناء كل شيء.
العجوز : ماذا..؟
البواب : أجمل من قبل! بعد الحرب.
العجوز : نعم... نعم... طبعا...
المرأة : هل أتوا ثانية مع الفسفور..؟
العجوز : الناس يتراكضون في الشوارع -
البواب : ألا تسكت!
العجوز : وإذا رأيت هذا بأم عيني..؟
البواب : الكلام الكثير لا ينفع!
العجوز : السكوت أيضا.
المرأة : ربما هو على حق، أيها العجوز، ليس من المفروض الكلام حول هذا. فليس من المفروض علينا أن نكرر مثل هذا الحديث.

الرجل العجوز يتحدث مع نفسه.

العجوز : الناس يتراكضون عبر الشوارع، التي أصبحت أرضها تحرق كل إنسان يحاول الهرب، فتحوله في لحظات إلى فحم أسود.....
المدرس : إلى أين، ماريا..؟ إلى أين..؟

ماريا : يجب أن أخرج ـ
المدرس : هذا عمل جنوني!
ماريا : أريد الغابة ـ
المدرس : ولكن ليس الآن!

ماريا : الطفل يختنق، صدقني، إنه يختنق ـ
المدرس : ليس الآن! ماريا، ألا تسمعي..؟
ماريا : أنا أسمع... أسمع ـ

دوي القنابل يقترب.

شخص ما : قنابل حارقة. هذه قنابل حارقه. قريبا سيتوقف....

رجل آخر من رجال الطوارئ يظهر أمام الباب.

الرجل : السيد المدرس، ولدك...
ماريا : كارل!
الرجل : في الخارج ولدكم ـ شنق نفسه...
المدرس : ولدي.
الرجل : الشوارع تلتهب!
المرأة : الفسفور..؟
الرجل : الشوارع تلتهب!

يسرع الرجل بالخروج.

المدرس : ماريا ـ أين هي..؟

يلحق ماريا، التي أسرعت مع طفلها إلى الخارج.

المرأة : أصابها الجنون. كنت قد توقعت هذا... كل مرة تخاف على الطفل من أن يختنق.
شخص ما : هل الذي شنق نفسه، زوجها..؟
ليزل : بلى، كان زوجها... كارل العزيز...
العجوز : الناس يتراكضون عبر الشوارع، التي أصبحت أرضها تحرق كل إنسان يحاول الهرب، فتحوله، في دقيقة واحدة، إلى فحم اسود.

يعود المدرس، وتخف الضوضاء.

المدرس : الشوارع تلتهب بالنيران.
المرأة : ليعاقب الله الأعداء، ليعاقب الله الأعداء!...
شخص ما : وجماعتنا يفعلون، مثل، ما يفعل الأعداء أيضا.
البواب : من قال هذا..؟
المرأة : ليس أنا.
البواب : من قال هذا..؟ جبان، ذلك الذي لم يقل (أنا). خائن، الذي لو اعترف، سيكون مصيره الموت.
المدرس : وجماعتنا يفعلون، مثل، ما يفعل الأعداء أيضا.
البواب : أنت..؟ نحن نعرفك، أيها السيد المدرس، أنت لم تقل هذا.
المدرس : وجماعتنا يفعلون، مثل، ما يفعل الأعداء. أقول هذا الآن : جماعتنا يفعلون المثل أيضا.

هدوء تام...

البواب : أرجو منك أن تعطيني أسمك، أنت تعرف ماذا أعني..؟ يجب علي...

الفصل الثاني

المشهد الخامس

الراهب واقف يقطع الخبز الموضوع على طاولة من المرمر.... يسمع غناء الأسرى.

الراهب : الآن يعاودون الغناء... ليكن الله في عونهم!

يظهر طفل، الراهب يحصي قطع الخبز.

الطفل : أبي.
الراهب : ماذا بك..؟
الطفل : إنهم يعاودون الغناء مرة أخرى!
الراهب : أربعة عشر، خمسة عشر، ستة عشر، سبعة عشر... سوف لن يحدث لنا، بعد، أي مكروه، قل لهم هذا، سوف لن يحدث لنا، بعد، أي مكروه.
الطفل : نحن، كلنا، نغني.
الراهب : اسمع... خذ هذا الإبريق، يا صغيري. هذا شراب. إنه دم سيدنا. قل لهم : إنني سأجلب لهم الخبز بعد ذلك.

الطفل : كم طيب أنت يا أبي.

الطفل يبتعد ومعه الإبريق.

الراهب : سبعة عشر، ثمانية عشر، تسعة عشر، عشرون، واحد وعشرون. هكذا وقفوا، واحد وعشرون، في صف واحد، وهكذا كانوا يغنون، كما يفعلون الآن.

أثناء هذا، يظهر الطيارون : الآمر، ضمدت جراحه، الملازم الثاني، العريف، وعامل اللاسلكي.

الآمر : حياكم الله.
الراهب : حياكم الله أيضا.
الآمر : عسى ألا نكون قد نزعجكم!
الراهب : هذا ما أتمناه.

لحظات من الصمت....

الآمر : من هؤلاء الذين يغنون هنا..؟
الراهب : كثيرون هم، أيها السيد، كثيرون.
الآمر : هذا ما أسمعه. فرقة غناء. أنا أحب هذه النوع من الغناء. نحن نعرف هذا من الإذاعة، ولكن الذي أقصده، من هم هؤلاء الناس..؟
الراهب : أنا لم أعرفهم أبدا.
الآمر : أبدا..؟
الراهب : دائما، عندما يسمعون أصوات الرصاص، يغنون. عسى أن يمنحهم الله الطمأنينة.

لحظات من الصمت....

الآمر : وأنت..؟
الراهب : أنا أعطيهم الخبز. وفي بعض الأحيان أصطاد السمك، وأجلبه لهم أيضا.
الآمر : وهل عندك خبز لنا، أيضا..؟
الراهب : إذا كنت تشعر بالجوع.
الآمر : نحن نشعر، كلنا، بالجوع!
الملازم الثاني : بالجوع والعطش!
الراهب : نحن لا نملك سوى الشراب فقط...
الملازم الثاني : أحمر أم أبيض..؟
الراهب : انه دم سيدنا...

الملازم الثاني : إذا أحمر!
الراهب : نعم.
الآمر : خبز وشراب. شيء جميل. شكرا لك.

الراهب يبتعد...

الملازم الثاني : يبدو هذا الراهب، من مظهره، مضحكا بعض الشيء.
العريف : المهم في الأمر، نحن الآن في مأمن، وهذا هو المهم... نحن الآن في مأمن.
الملازم الثاني : إذا كان هذا دير!... ربما عندنا حظ، أيها الناس، حظ، كما هو في كتب الروايات : لربما يكون دير للراهبات..؟ إلى جهنم وبئس المصير معي. أن مثل هذه الصبايا، اللواتي لا يعرفن الخطيئة إلا عن قراءة كتب الصلاة والدعاء، بإمكانهن أن يتعلمن كل هذا! لاشيء يجعلني مجنونا غير خجل النساء، ومع هذا، شيء من الرفض والمقاومة يجب أن يكون هنا.
عامل اللاسلكي : إنه يعاود التفكير بمثل هذه الأمور ثانية.
الملازم الثاني : لو تنتهي الحرب يوما ما، أيها ألأصدقاء، فإننا سنعوض ما فقدناه، ونأخذ كل صبية تثير الرغبة فينا. إن هن هنا، كما أقف أنا، هنا، في هذه الضاحية الغريبة علينا!

يجلسون.

الآمر : كنت قد أيقنت، بأنه الموت، ربما هو. وإذا كان هو حقيقة، فماذا بإمكاننا أن نفعل... بالمناسبة : إنني سأطلب من الجنرال أن يمنحكم وسام الشجاعة، حالما يكون هنا.
عامل اللاسلكي : أنني افضل قطعة من الخبز بدلا عن هذا.
الآمر : أين بنيامين..؟
الملازم الثاني : بنيامين هنا.
الآمر : أنا لا أراه.
الملازم الثاني : بعثته، كي يكتشف الضاحية. الحذر يغلب القدر.
الآمر : هذا أول وآخر طيران لهذا الشاب الطيب... كيف حصل هذا..؟
عامل اللاسلكي : واحد، اثنين، ثلاث.
الآمر : وأين توماس..؟
الملازم الثاني : نجا... قفز بمظلته، قبل أن تصيبنا النيران.
الآمر : نجا.
الملازم الثاني : رأيته بأم عيني.
عامل اللاسلكي : وأدوارد قفز بمظلته، أيضا، قبل أن تصيبنا النيران.
الآمر : والكسندر..؟

عامل اللاسلكي : هذا ما لا اعرفه.
الآمر : هذه ضربة قاصمة لك، أيها الملازم الثاني، لا أحد منا يلعب الشطرنج!
الملازم الثاني : هذا ما فكرت به، أنا، أيضا. لقد كان الدور لي.
العريف : أنا رأيته ـ
الآمر : الكسندر..؟
العريف : كانت مظلته تحترق.
الآمر : ياله من مسكين...
الملازم الثاني : كان الحلم يراوده، دائما، بأن مظلته تحمله إلى مسقط رأسه.

صمـت...

الآمر : وأين نحن..؟
عامل اللاسلكي : هذا هو السؤال المهم الآن.
العريف : المهم نحن الآن في أمان، وهذه مسألة في غاية الأهمية.
الآمر : خبز وشراب، علينا أن نقتنع بهذا في بادئ الأمر. وإذا استطعنا الصبر، فإننا سنتوصل إلى
معرفة المكان الذي نحن فيه الآن. لا أحد يتطلع إلينا بعين العداء. أنا متأكد من هذا. انهم يفهمون لغتنا أيضا.

بنيامين يأتي.

الآمر : ماذا عندك من أخبار..؟
بنيامين : أيها الآمر...
الآمر : قل ما عندك!
بنيامين : رأيت بشرا... عجائز... نساء... وأطفال، يغنون وهم جالسون إلى طاولـة. عددهم واحد وعشرون فقط ... بأيدهم قطع من الخبز. ياله من منظر عجيب.
الآمر : عجائز، نساء، وأطفال..؟
عامل اللاسلكي : لماذا لا نسأل....؟
العريف : أي بلد هذه..؟
عامل اللاسلكي : نعم.
العريف : عبث لا فائدة منه.
عامل اللاسلكي : لماذا..؟
العريف : سيدق ناقوس الإنذار : الأعداء هنا. وخلال ساعة سنكون أسرى تحت رحمتهم.
الملازم الثاني : إنه على حق.
العريف : لنقل فرضا، بأن الحدود لا تبتعد عنا سوى ميل واحد، نصف ـ
عامل اللاسلكي : وما علينا إلا أن نعرف، أين هي هذه الحدود تقريبا!

العريف : سنتوصل إلى هذا.
عامل اللاسلكي : ولكن كيف..؟ وليس معنا جهاز لاسلكي.
العريف : سنحصل على ما نريد. دع هذا علي. ما علينا إلا أن نتحدث عن كل شيء، ببراءة وبصورة عادية، و سنتجاذب الكلام مع الراهب، وسنعرف!
عامل اللاسلكي : ربما نحن في أرضنا ـ
الآمر : كل شيء ممكن.
عامل اللاسلكي : ومع هذا، علينا أن نكف عن السؤال، ونخفي هويتنا، وهذه مسألة مهمة. وفي يوم ما، عندما تكون الحرب قد انتهت، نبقى هكذا، كما تعودنا، لانكشف عن أنفسنا. ونبقى هكذا، لا نسأل، كي لا نعرف، بأننا في أرضنا ـ
العريف : في أرضنا ... تقول : في هذه الخرائب ـ
عامل اللاسلكي : هل تعتقدون، أيها ألأصدقاء، بأن أرضنا تختلف كثيرا عن هذه الأرض..؟
بنيامين : اسكتوا! ـ
الملازم الثاني : أنه يجلب، لنا، شراب وخبز، فعلا..؟

الراهب يجلب شراب وخبز، برفقة الطفل، الذي يقوم بتوزيع قطع الخبز.

الراهب : هذا كل ما نملكه، الآن.
الآمر : نحن نشكرك!
الراهب : يجب علينا أن نخبز من جديد، حالما تنتهون من الأكل.

الطيارون ينهضون ويأكلون الخبز صامتين، وكل واحد منهم يتناول جرعة كبيرة أو صغيرة من الإبريق.

الطفل : أبي..؟
الراهب : انهم لن يفعلون لك شيء.
الطفل : متى ينقطع إطلاق الرصاص ثانية..؟
الراهب : هذا ما لا أعرفه، يا صغيري. سوف لن يقع لنا مكروه مرة أخرى. لا تخف أبدا، فلن يحدث لك شيء.
الطفل : من يكونون هؤلاء الرجال..؟
الراهب : لا علم لي.
الطفل : هل كانوا أعداء لنا..؟
الراهب : لا أعرف، يا صغيري، انهم يعانون من الجوع.
الطفل : الكل يعانون من الجوع...
الراهب : خذ الإبريق، انه قد فرغ، واجلب لهم واحد آخر.

الطفل ينفذ الأمر...

الآمر : هل هذا طفلك الوحيد، أيها الأب..؟
الراهب : كلا.

الطفل يجلب إبريق آخر...

العريف : قل لي : أليس هذا دير..؟
الراهب : كان....
العريف : وأين تقع أقرب قرية إلينا..؟
الراهب : أقرب قرية ـ

يعطي الإبريق...

أقرب قرية... لا وجود لها.
العريف : شيء ما، من المفروض أن يكون قريبا!
الراهب : لا أعرف، ولم أر مثل هذا. ولكن معك حق، أيها الشاب، شيء ما يجب أن يكون قريبا، دائما، حتى ولو كان بعيدا عنا.
العريف : وكم هو البعد..؟
الراهب : لا أعرف.
العريف : تقريبا..؟
الراهب : أقرب قرية، كنت أعرفها، كانت تقع قريبا من ديرنا، أحرقت، وماتوا جميع أهلها، ولن يحدث لهم مكروها بعد هذا. بعدها تأتي الغابات ... ثم الحقول، حيث كانت الغلال تزرع، بالأخص الحنطة وكذلك الخرطمان. بعدها تأتي المستنقعات، ثم الحقول، التي حدثت فيها دائما وباستمرار، أشهر المواقع الحربية، بعدها، ربما، تقع هناك قرية، لم أعرفها أبدا، قد احترقت أيضا ـ
العريف : ربما.
الراهب : هكذا يحدث أحيانا.
العريف : هل تعني من كلامك هذا، بأنك لا تعرف، كم هي المسافة إلى أقرب قرية تجاورنا وإلى أقرب إنسان آخر..؟
الراهب : لا أعرف.
العريف : قل لي، ـ كيف تتحمل هذا الحالة..؟
الراهب : هذه ضاحيتي.
العريف : كيف تتحمل هذا..؟
الراهب : بإمكان المرء أن يتعود، أيها الشاب الصديق. هذا ليس صعبا، إذا علم، بأنه لن يصل أبدا إلى قرية، أخرى، قريبة منه.
العريف : أبدا..؟
الراهب : ضاحيتي هنا.

الآمر يعطي الإبريق الفارغ إلى الطفل.

الآمر : هل قلت، بأن علينا أن نخبز الخبز..؟
الراهب : هكذا قلت.
الآمر : هذه ليس مشكلة، يا أبي، ولكن المشكلة هي : إنني لم أقم في حياتي بمثل هذا أبدا. هذا ما يجب أن أعترف به، لأنني لا أعرف كيف تصنع العجين.
الراهب : آه، بكل بساطة.
الآمر : هل صنع أحد منكم، مرة ما، خبزا له..؟
الراهب : سنتعلم هذا سوية.

يتحول إلى العريف.

سيريك الطفل، أين هي البلطة. ستجد في هذا الحطام الكثير من الخشب، أكوام من الفحم، قطع من اللوحات جفت وقبعت ألوانها. ما عليك إلا أن تشطرها بصورة منتظمة، نستطيع أن نحرقها ونصنع الخبز.
العريف : نحرق ونخبز .
الراهب : بإمكان الطفل، أن يريك كل هذا.
العريف : أيها الأب!
الراهب : ماذا بعد..؟
العريف : لماذا قلت قبل هذا..؟ بأن من المستحيل أن يصل إنسان إلى قرية أخرى...
الراهب : هذه هي الحقيقة، يا صديقي.
العريف : انه ليس بعيدا، أبدا، ما نريد الوصول إليه، لو سرنا على هذا الطريق دائما، لو سرنا! لماذا تضحك..؟
الراهب : أأفعل هذا..؟
العريف : ليس بعيدا، أبدا، ما نريد الوصول إليه، نحن لازلنا شبابا! هل تعرف كم هو عمرنا..؟ الحرب هي التي سرقت هذا الشباب. لا تتطلع إلى وجوهنا، إذا قلت لك، بأننا في بداية حياتنا، ألتي لا نعرف لذتها ...
الحياة..؟ ألم يكن كل شيء، ما نسميه في الحياة، أمامنا..؟ آه ... ما هذا الذي أقوله! إنك لا تثير الخوف في نفسي. نحن رأينا الموت بأم أعيننا أكثر من مرة ...
الراهب : لماذا تروي لي هذا..؟
العريف : أنا أسألك : أين تكون أقرب قرية إلينا..؟
الراهب : لا أعرف.
العريف : أين تكون أقرب قرية إلينا..؟

يسحب مسدسه.

أين تكون أقرب قرية إلينا...!
الآمر : لقد أصابه الجنون.
العريف : أين تقع أقرب قرية إلينا... أين...

تهجم جماعته عليه ويأخذون منه المسدس.

الراهب :لا يمكن أن يحدث أي شئ لي أبدا.

بعد فترة من الصمت : يقترب الطفل من العريف، ويطلب يده. العريف يتبعه.

الراهب : يجب أن يكون عندنا ماء نقي، أيضا ـ
الملازم الثاني : سأجلبه أنا.
الراهب : شيء جميل منك. سأريك، أين كانت مصادر مياهنا ـ
الملازم الثاني : سأجدها بنفسي!
الراهب : لا أعتقد.
الملازم الثاني : هل تخاف من أن أعثر على الراهبات..؟
الراهب : انه المصدر الوحيد الذي لدينا، ويمكن أن يكون قد طمر، مرة أخرى، تحت الأنقاض.
عامل اللاسلكي : أنا سأساعدكم.
الآمر : الحرب تصنع الكثير من الدمار...

الراهب يبتعد ومعه الملازم الثاني وعامل اللاسلكي.

وأنت، يابنيامين..؟ انك لم تفتح فمك طول الوقت.
بنيامين : أنا أتصنت.
الآمر : ماذا تعتقد، أين نكون نحن الآن..؟
... لماذا أنت صامت، لا ترد..؟
بنيامين : أن لي أم وأب، لاغير. أنهم يبكون الآن، لأنهم عرفوا، بأننا في عداد الأموات.
الآمر : أموات..؟
بنيامين : هذه حقيقة، ليس من السهولة، بالنسبة لكم، أن تصدقوها. انك متزوج، أيها الآمر، وعندكم طفل أو طفلين وكذلك الآخرين، كانت عندهم صديقات، أو لازالت عندهم، ينتظرون على أمل اللقاء. وإذا انقطعت أي علاقة معهن، ينعتوهن بالخباثة ـ

الآمر : عندك حق : أنهم يعتبروننا في عداد الأموات، بدون شك، أنهم يعتبروننا من الأموات ـ

بنيامين يتصنت، لأنه يسمع الغناء.

بنيامين : الآن يعاودون الغناء ثانية. نساء... عجائز... وأطفال، يجلسون إلى مائدة طويلة، واحد وعشرون، وهم يغنون، بيدهم قطع من الخبز، وأفواههم مغلقة. انه منظر عجيب.

الآمر يقرر أمرا ما، فجأة.

الآمر : بنيامين!
بنيامين : تحت أمركم.
الآمر : أخرج وتطلع من حولك! ربما تعثر على أي إنسان، سواء كان فلاح أو طفل أم فتاة وتكلم معهم بحذر. نحن ننتظر هنا، حتى تعود. نحن ننتظر على أية حال.
بنيامين : أمركم.
الآمر : علينا أن نعرف، أين نحن.
بنيامين أمركم!
الآمر : شيء آخر!... إذا قابلت إنسان، إنسان حي، أي إنسان : أعطه هذا الخاتم.

بنيامين يذهب، ويبقى الآمر لوحده.

ربما تسير جيني، الآن، في الشارع، وقد توشحت بالسواد، اللون الذي يناسبها، وربما معها الأطفال، أيضا، وعيونها تذرف الدموع، وهم يتسألون : لماذا، لماذا.... لقد كان لقائنا في الليلة الأخيرة لقاء كئيب... لم نتفوه بكلمة واحدة... لم أعرف لماذا... وهكذا بقينا صامتين.

الراهب يعود.

الراهب : الطاحونة. لا توجد عندنا غير هذه. إنها قديمة، وتعمل ببطيء ـ
الآمر : فهمت هذا!
الراهب : ماذا..؟
الآمر : يبدو، إننا من المفروض أن نبدأ من الأول.
الراهب : سأهيأ لك الحنطة...

يتهيأون للعمل.

الآمر : تذكر، يا أبي، نحن لم نصنع لنا، أبدا، خبزا! يجب أن ترينا كل شيء. نحن سقطنا من السماء . هكذا نحن عظماء بعض الشيء...
الراهب : سوف نتعلم هذا.
الآمر : لو عرفت هذا جيني! جيني أسم زوجتي.
الراهب : هل عندك زوجة..؟
الآمر : زوجة وطفلان، عائلة متكاملة. في الليلة الأخيرة، حينما تقابلنا، لم أستطع أن أتفوه بكلمة واحدة، وكأن البكم قد أصابني، لم أعرف لماذا ... الكثير يجب أن يتغير، أعني بعد الحرب. كنا نملك شركة كبيرة لتجارة الأصواف. سأتخلى عن كل هذا. عند جدي الكثير من الأغنام، التي يقص أصوافها بنفسه! سأذهب ثانية، مع جيني، إلى الريف، ليس من أجل نزهة قصيرة، هل تفهم، ليس في إجازة. سأتخلى، عن كل شيء طوع إرادتي، عن المال وعن الشركة وهكذا سأكون حرا. ألا تصدق هذا.؟ سأتخلى عن العربة وعن خدمنا، وعن كل شيء وبهذا ستكون جيني سعيدة... لماذا أنت صامت، يا أبي..؟
الراهب : أنا أتصنت إليك، أيها الآمر.
الآمر : كل شيء يجب أن يتغير. كان عندنا بيت، هل تفهم، وكان كبيرا، بنيته، ولكن ليس من أجل أن نعيش فيه سعداء، وإنما من أجل أن يحسدونا الناس عليه ... هذا البيت الذي كان كبيرا مثل طموحي، كان خاليا أيضا ... وهذا سأتخلى عنه أيضا ... لماذا أنت صامت، يا أبي..؟
الراهب : أنا أتصنت إليك، أيها الآمر.
الآمر : ولكن أنت صامت.
الراهب : علينا أن نخبز خبزا كثيرا، سيأتي الكثير من الضيوف بعد.
الآمر : ضيوف..؟
الراهب : ألا تسمع أصوات الرصاص ثانية..؟
الآمر : اسمعه دائما، إلا أنه يخف تدريجيا. يا للعجب! ربما بالغنا في تقديرنا..؟
الراهب : ماذا تعني..؟
الآمر : التاريخ ... المؤرخ. ماذا يسمع المرء هنا.
الراهب : هكذا صحيح : ببطء يجب أن تطحن... دائما...
الآمر : قل لي : من يكون هذا الطفل، الذي مسك لنا الإبريق..؟
الراهب : لم أكن أعرفه من قبل.
الآمر : إنه شيء غريب! لو كان طفلنا، فإنه سوف لم يفعل إلا كما فعل هذا الصغير .... أنا أحب هذه المخلوقات الجميلة، التي تولد، دائما، في كل مكان، مادامت البشرية موجودة، وسوف تبقى هذه البشرية موجودة، على الأقل، مهما استمرت الحروب .
الراهب : بالتأكيد.
الآمر : ممالك تسقط، شعوب تستيقظ، تصنع التاريخ منذ مئات السنين، الدول، الحدود، الحروب هذه هي أحداث العالم! نحن نتحدث الكثير عنها، الصحف، الإذاعة، والتاريخ لا يكتب إلا عنها، وكل ما كانت أحداثها مرعبة، تكون مميتة،

وكل ما تكون على هذا المنوال، نكون قد أيقنا، بأن هذه هي حقيقة عالمنا، الحقيقة التي لا توجد غيرها!
الراهب : إنها حقيقة بالفعل.
الآمر : أعتقد، يا أبي، كان بالإمكان أن نعيش غير هذا ، غير هذا تماما، على الأقل جيني وأنا. حياتنا الحقيقية، التي لم تكن سوى منظر طفل يحمل إبريقا، إلا إنها، في الآخر، ذهبت فيفي مهب الريح ـ لماذا لم نعيش حياة غير هذه..؟
الراهب :لا أعرف.
الآمر: إنني أشعر، بأن هناك عالم غير هذا تماما، يا أبي، عالم موجود. إنه وطن لا يفرق البعض الآخر... أنا لا أعني، بأن الكل سواسية! فلا يمكن أن يكون كل واحد أخ للآخر، دون أن يتقبل هذا بنفسه... إنني أشعر بوطن، كان من المفروض أن يكتشف... وطن واحد على
هذه الأرض ـ

ينقطع عن الحديث ... يضحك.

لو إننا عشنا حياة غير هذه ـ أقول هذا وكأنني لم أعد على قيد الحياة أبدا!

العريف يأتي حاملا خشبا متفحما ويضعه في المكان

الراهب : هكذا صحيح! كثير من الخبز علينا أن نخبز...

العريف يبتعد ثانية.

لماذا تتردد..؟
الآمر : كثير من الخبز علينا أن نخبز، هذا ما تقوله دائما، وإذا بقينا على هذا المنوال، فإنه لا يعلم إلا الله، إلى متى يستمر هذا. نحن نخبز، ونخبز ـ ولكن من أين كل هذه الحبوب..؟ هكذا خطر السؤال في ذهني فجأة.
الراهب : نعم، الحبوب.
الآمر : من أين..؟
الراهب : أنا أعتقد، بأن الأحياء سيفتقدونها.
الآمر : أسيعانون الأحياء من الجوع..؟
الراهب : إنها الحبوب، التي كان بالإمكان زرعها على ممر السنين، وفي كل الحقول، التي تواجدت عليها المواقع الحربية. لقد قتلتها الحرب. هكذا هو قمحنا.
الآمر : هذا مستحيل، شئ لا يمكن أن يتصوره العقل ـ
الراهب : إنه مجرد صورة أحملها في ذهني.
الآمر : أتعني، يا أبي، بأن جيني ستعاني الجوع أيضا..؟ الأطفال كذلك..؟ ما هو ذنبهم من كل هذا..؟ هل هم الذين قاموا بهذه الخطيئة..؟

يأتي الملازم الثاني.

الملازم الثاني : البئر مفتوح.
الراهب : هكذا صحيح!
الملازم الثاني : الآن نحتاج الإبريق ـ
الراهب : الإبريق عند الطفل.

الملازم الثاني يذهب.

انهم مؤدبون، هؤلاء الشباب ...
الآمر : كيف أتيت، أنت، إلى هذه الضاحية..؟
الراهب : وقع هذا منذ وقت طويل.
الآمر : متى..؟
الراهب : كان هذا في الحرب الأخيرة. في الحرب التي قبلها كنت جنديا ـ
الآمر : أنت أيضا.
الراهب : كنت جنديا عندما كانت عندي خطيبة. يإلهي، أي شباب كنا! سأنتظر، حتى تعود، هكذا قالت، وصدقت هذا : كانت جميلة. تلوح بمنديل أحمر، يشبه المنديل الذي تحمله فتاة قروية. لم أرها بعد هذا أبدا.
الآمر : لماذا..؟
الراهب : وصلنا إلى الجبهة، جرحت، بعدها، وقعت في الأسر. ثلاث سنوات كنت أسيرا... بقت الفتاة وفية للعهد، حتى بعد أن أيقنت، بأنني قد سقطت في الحرب. فيما بعد، عندما رجعت إلى البيت، كانت، هي، قد سكنت الدير منذ مدة طويلة. فيما إذا كانت نوت الانتظار على أمل العودة، هذا مالا علم لي به. أردنا أن نكون فلاحين كعائلتنا. لا أعرف، فيما إذا لازالت على قيد الحياة. إنني هنا كي أكون قريبا منها، وهذا اقرب مكان لي.
الآمر : في الدير.
الراهب : نعم، كان الدير الوحيد، وكان في حينها يسكنه راهب روسي مريض. قمنا، سوية، بترميم هيكل العبادة، الذي تحول، ثانية، إلى أنقاض . كان يغني للفلاحين أيام الأحد، ونحن نساعدهم أيام الحصاد، نحمل الأموات إلى القبر ونشعل الشموع . كانت عندنا نعجتان. وفي يوم ما مات الروسي وحملناه إلى القبر وغنوا له الفلاحون.... بعدها بقيت، أثنى عشر سنة وحيدا : حتى تلك الليلة.
الآمر : أي ليلة..؟
الراهب : أسابيع بطولها، كانت دبابات الغرباء، جنود يأتون، إلى الدير، يريدون، كلهم، مشاهدة القبو، ثم يذهبون. في صباح ما احترقت القرية، في المساء جلبوا واحدا وعشرين أسيرا، فرض علي أن أحفر لهم حفرة كبيره، بعدها حدث كل

شيء بسرعة. أجبروا في الوقوف على حافة الحفرة. عجائز... نساء... وأطفال، كانوا يغنون، حتى آخر من أطلق
عليه الرصاص.
الآمر : هل سمعت هذا بنفسك، يا أبي..؟
الراهب : كان علي أن أقسم اليمين، بأنني لم أسمع هذا.
الآمر : وهل أقسمت اليمين..؟
الراهب : نعم.
الآمر : إذا فقد كنت قد أقسمت ـ
الراهب : نعم.
الآمر : لماذا..؟
الراهب : كنت خائفا. بدأ يعد بالأصابع، وعندما وصل إلى السبعة، انتابني الخوف وأقسمت. بعدها عادوا وقالوا : نحن لا نصدق يمينك هذا!
الآمر : وهذا هو القضاء الذي يمارسونه في...
الراهب : وهكذا أطلق علي الرصاص أيضا.
الآمر : والآن..؟

يظهر كارل، الذي شنق نفسه.

كارل : أنا الذي أطلق عليهم الرصاص. فعلت هذا بأمر...

إلا إنهم لم يلاحظوه...

الأمر : والآن..؟
الراهب : سيتطلب هذا وقتا طويلا. بعض من الأموات، لازالوا يفكرون بالثأر، وكما أعتقد، أن هذا يحتاج إلى وقت طويل، حتى لا يبقى أي أثر.
الآمر : ماذا تقصد من هذا..؟
الراهب : أعني قبل كل شئ، الجرائم البشعة التي راحوا ضحية لها.
الآمر : أنت تتحدث بكل بساطة، وكأن كل ما حصل كان ذنبهم، وما عليهم إلا النسيان..؟
الراهب : لذلك كان موتنا ضحية لهم، ولأننا كنا لازلنا بشر غير صالحين.
الآمر : والذي فعل هذا..؟
الراهب : كل واحد مسؤول عن ذنبه.
الآمر : هل يعني هذا، بأنك تريد أن تصفح عن القاتل..؟
الراهب : أنا لست قاضيا، يا صديقي، حتى يكون بإمكاني الصفح. كنت خائف مثل الآخرين. سأصطاد لهم السمك، قدر المستطاع، وسأخبز لهم الخبز، ماداموا يطلبون، وماداموا يحتاجون...
الآمر : ولماذا كل هذا..؟

الراهب : أعتقد، أن هدف وجودنا، هنا، هو ممارسة نمط تلك الحياة التي كان من المفروض أن نمارسها قبل هذا. وطالما نحن هنا، فإن هناك شعور يلفنا بالندم واللعنة الأبدية... ثم الخلاص من كل هذا.

يتقرب كارل أكثر.

كارل : أنا الذي أطلق الرصاص. فعلت هذا بأمر...

لم يلاحظوه..

الآمر : إنني أفهم هذا، يا أبي، ولكن لا أعرف كيف أقول لهؤلاء الذين معي. انهم لازالوا شبابا.
الراهب : ماذا تريد أن تقول لهم..؟
الآمر : بنيامين ـ أراد أن يكون شاعرا! قال لي هذا في الليلة الأخيرة، عندما تحدثت معه لأول مرة. أتعتقد، إنه كان بالإمكان أن يكون شاعرا..؟
الراهب : ربما كان بالإمكان أن يكون أكثر من هذا.
الآمر : كيف يمكن أن نقول له، أن هذا هو الموت الذي نحن فيه ـ انهم لم يتهيئوا لمثل هذا، لأنهم
لم يعرفوا طعم الحياة.

تسمع الأغاني...

كارل : الآن يغنون ثانية!...

كارل يركع...

الآمر : من هذا..؟
الراهب : أي طريق يسلكه يقوده إلى هنا، اسمه كارل، شاب يبحث عن أمه.

كارل يصرخ.

كارل : أنا الذي أطلق الرصاص عليهم... أنا!
الراهب : أعرف هذا، ياكارل... هنا امرأة، تلك التي أطلقت الرصاص عليها، تقول، إنها والدتك.
كارل : كيف يمكن أن يكون هذا..؟
الراهب : أتريد أن تراها..؟
كارل : والدتي..؟

الراهب : أتريد أن تراها..؟
كارل : مستحيل ... لا يمكن أن يكون هذا .
الراهب : واحدة، هي الأمهات، ياكارل، واحدة هي الأمهات... أتريد أن تراها..؟

يضع كارل يده أمام عينيه.

كارل : قدرتك يا رب!

المشهد السادس

ماريا لوحدها.

ماريا : ربما، الآن، الربيع... قطرات مائية تتساقط من الشجر، إنه الثلج، الذي يذوب، لأن الشمس تبعث بأشعتها الدافئة على الأرض. ولكن ... ليس في كل مكان. هناك، خلف الغابة، حيث الظل لازال يخيم ... البرد والرطوبة وأوراق شجر الخريف الضائع، ذابلة، ملقاة على الأرض .... ورغم هذا، أن السماء، من بين هذه الأغصان العارية، تبدو وكأنها بحر أزرق نقي. كل هذا لم تره، يا ولدي، لهذا أقول لك : جميل أن تكون على الأرض، خصوصا، في فصل الربيع. حيث العصافير تغرد، وخرير المياه في كل مكان، والأزهار برائحتها العطرة. في المساء يهب نسيم دافئ عبر الحقول المترامية الأطراف ببراعمها المتفتحة الخضراء. أما أنت، فقد فقدت حياتك قبل أن ترى برعما أو عصفورا أو غرابا يحلق عبر هذه الحقول. لهذا أقول لك : جميل أن تكون على الأرض، خصوصا، في فصل الربيع ...

بنيامين يظهر.

بنيامين : أتسمحين لي بسؤال، من فضلك..؟ أين نحن وما اسم المكان الذي نحن فيه..؟ إنني لم أصادف، لحد الآن، إنسان في طريقي سواك. كنت طيارا. سقطت طائراتنا في منتصف الليل أثناء هطول المطر. ولا نعرف أين نحن. ـ نعم ....
ماريا : لماذا سكت فجأة..؟
بنيامين : من حقك أن تسألي.
ماريا : لماذا..؟
بنيامين : ربما نحن أعداء...
ماريا : نحن لا نعرف بعضنا الآخر.
بنيامين : أنني سعيد جدا، لوجودك هنا! فلم أر في طريقي بشرا رغم هذا الطقس الجميل، حيث الحقول بألوانها الضاربة للحمرة، وبقايا آخر ظل للثلج. يعلم الله، فقد اعتقدت بأنني في المريخ.... استحوذ على الحزن .

ماريا : ألم تر فلاحينا وهم يحرثون الأرض في هذا الفصل من السنة..؟
بنيامين : أتقصدين الرجل العجوز الذي لا يسمع..؟
ماريا : لا أحد من الشباب في المزارع.
بنيامين : ناديته. أعتقد انه لم يسمع. ناديته بأعلى صوتي، وانه أعمى لا يرى،عندما أريته الخاتم... انه خاتم آمرنا.

يجلس بنيامين بجانب ماريا.

أنا سعيد جدا، بأنك تسمعيني!
أنا بنيامين.
ماريا : أنا اسمي ماريا.
بنيامين : انظري، ماذا وجدت ـ
ماريا : ما هذا..؟
بنيامين : أعتقد، شيء ما متحجر.
ماريا : حجريات..؟
بنيامين : نحن درسنا هذا في المدرسة. كان حيوانا صغيرا، عاش قبل وجود الإنسان، آدم وحواء ـ
ماريا : أهو معروف..؟
بنيامين : بالطبع، انه معروف جدا.
ماريا : لماذا..؟
بنيامين : هذا الذي تمسكينه في يدك، كان حيوانا صغيرا يعيش في مياه بحر كان موجود هنا. طمر تحت الأطيان، عندما انحسرت مياه هذا البحر، وبمرور مئات من السنين تحجر... بعدها غطيت الأرض بالثلوج، وحينما ذابت، عادت الأرض للظهور وازدانت بالغابات، وجاءت القرود ... بعدها البشر ... اليونانيون ثم الصينيون لفترة قصيرة على الأقل... انظري كيف هو جميل..؟
لم يبق منه إلا شكله.
ماريا : أعتقد، إنه كان قوقعة.
بنيامين : ربما.
ماريا : انك لم ترى، حتى قوقعة، يا صغيري!
بنيامين : هل هذا طفلك طفل..؟
ماريا : نعم، إنه قد مات.
بنيامين : هل نحن الذين قتلناه..؟
ماريا : أنت..؟
بنيامين : ربما نحن الذين قتلناه.
ماريا : قالوا : انه ليس إلا ضغط جوي ... أردت الخروج بعيدا، إلى الغابة، في الشارع كنت احمله على ذراعي، إلا إن الشارع كان يحترق. وفجأة ... أنتزع من ذراعي، وهذا كل ما كان بإمكاني أن أراه.

بنيامين : ربما نحن الذين قتلناه.
ماريا : لماذا تتطلع إلي هكذا..؟
بنيامين : كان من الممكن أن نكون أصدقاء... أنا لم أتعرف على أي فتاة لحد الآن.
ماريا : أبدا..؟
بنيامين : آه ... رأيت الكثير من الفتيات، كنت اشعر بالفرحة، عندما كنت أتطلع إليهن، وهن يستقلن عربة النقل، أو يقفن عند واجهات المحلات. ربما كن يفعلن هذا من أجلي. كنت اخرج دائما، كما أفعل الآن، ولكن لوحدي... أعرف الربيع جيدا . بإمكان المرء أن يرى ويسمع الكثير، عندما يتجول لوحده ـ
ماريا : بالطبع.
بنيامين : ينابيع المياه.
ماريا : بالطبع.
بنيامين : وكل ما يخطر على بال الإنسان... كنت أجلس أكثر الأحيان، كما هو الآن بالضبط وأنا أدخن الغليون مثل الكبار، وأفكر بكل شيء . إذا أضطجع الإنسان على ظهره، ويداه تحت رأسه، متطلعا إلى السماء، حيث السحب وهي تتحرك، يذهب بعيدا في تصوراته حيث

الحقول... بعدها حينما يكون الربيع، يتجول في الغابة، ومن بين الأشجار ليس إلا سماء صافية مثل مياه البحر النقية، ونسيم الهواء ... أتعرفين هذا أيضا..؟
ماريا : ماذا..؟
بنيامين : كل ما يمكن أن يجول بخاطر الإنسان... خصوصا في الربيع...
ماريا : أنا أعرف هذا بالطبع.
بنيامين : أنا لم أجلس، لحد الآن، مع فتاة، كما هو الآن... بعد المدرسة جاءت الحرب، وأصبحت
طيارا ـ

يتطلع إلى الشكل المتحجر.

أعتقد، كان بالإمكان أن نحب بعضنا.

يظهر هربرت وجندي بصحبة المدرس وهو معصوم العينين.

هربرت : نحن في الضاحية.
الجندي : أهذه مناسبة معينة..؟
هربرت : سيكون إطلاق الرصاص على الصدر.
الجندي : خيانة عادية ـ
هربرت : الرمي يتم بالأمر.

الجندي يبتعد.

ليكن لك واضح :
المدرس : بأنه سيطلق الرصاص علي.... هذا ما أعرفه.
هربرت : ليكن لك واضح : إذا صرخت، فلم يسمعك أحد.
المدرس : سوف لن أصرخ.
هربرت : إذا تريد أن تمثل موقف بطولي، لا أحد يمنعك من هذا، وسوف لن يراه أحدا.
المدرس : أطلق الرصاص!
هربرت : الرمي لايتم إلا بأمر مني.
المدرس : ماذا تريد بعد..؟ لقد وقعت على كل شئ وأنا معصوم العينين، ماذا تريد بعد..؟
هربرت : عليك أن تعرف على أي شئ وقعت وأنت معصوم العينين. فقط هذا.
المدرس : أنا لا أريد أن أعرف.
هربرت : إذا أردت، أم لم ترد.
المدرس : أطلق الرصاص!...
هربرت : أيها المدرس!

يدير المدرس رأسه.

المدرس : من هذا الذي يتحدث معي هكذا..؟
هربرت : ليكن لك واضح، بأنك لا تقف خلف لوحة زيتية ، كي يراها التلاميذ، ولا خلف منجم ذهب ـ إنما حفرة حصى لا أمل من ورائها.
المدرس : من هذا الذي يتحدث معي هكذا.. وبهذا الشكل..؟
هربرت : ليكن لك واضح، بأن موتك سيكون مجهولا، لا يعلم به أحد، وسوف لن يرسم على لوحة، ولم يمثل على خشبة مسرح كي يكون تحت الأضواء، سواء أكان هذا في المقدمة، في الوسط أو في الخلف ـ
المدرس : لماذا كل هذا..؟
هربرت : لماذا..؟
المدرس : في هذه اللحظة : لماذا!
هربرت : ليكن لك واضح : في نفس اللحظة التي يطلق، فيها، الرصاص عليك ـ يكون الفلاحون قد حرثوا الأرض للزراعة. العصافير تغرد. الجنود يأكلون ويطلقون النكات ويضحكون. رجل الدولة يلقي كلمة من الإذاعة. وأنا، نفسي، سأدخن سيكارة، وآخر يجلس تحت الشمس يصطاد سمكا. فتيات يرقصن وأخريات يطرزن، ومنهن من يغسل الصحون. الفراشات ترفرف بأجنحتها عبر الحقول، والقطارات تسير بثبات. وهناك من يجلس في حفل موسيقي وهو يصفق ـ وفي هذه اللحظة بالذات، أيها السيد المدرس، فإن موتك سيكون مجهولا، لأنه لا يشكل صورة واقعية.

المدرس : من أين تعرفني..؟
هربرت : من المدرسة، أيها السيد المدرس.
المدرس : من تكون أنت..؟
هربرت : كان بالإمكان أن تعرفني وكان لديك الوقت الكافي. كنت لا تريد أن تعرف البشرية، أنا أعرف المذهب الإنساني. هكذا كنت تدعي.
المدرس : يا إلهي، من تكون أنت..؟
هربرت : تلميذك.

يتقدم إليه

سأزيل الربطة من على عينيك، حتى تتأكد من أكون أنا.

يزيل الربطة من على عينيه.

المدرس : هربرت ـ..؟
هربرت : كن واثقا، بأن الرصاص سيطلق عليك.
المدرس : هربرت، أهو أنت فعلا..؟
هربرت : سأريك، ما لم تريه لنا، أبدا، في السابق : الحقيقة، الفراغ، والعدم ـ
المدرس : أنا لا أفهم ماذا تقصد..؟
هربرت : من أجل ماذا تقف هنا..؟
المدرس : من أجل ماذا..؟
هربرت : عملية إعدامك ستكون متكاملة، لانقص فيها. نحن لن نطلق الرصاص عليك فقط، وإنما على كلماتك، وما تحمله من أفكار، وعلى هذا الشيء الذي سميته العقل، وعلى أحلامك والأهداف التي تصبوا إليها، وتصوراتك للعالم، التي كما ترى، لم تكن سوى خدعة ـ

يلتفت...

هيئوا السلاح.

مرة أخرى إلى المدرس..

لو كان حقيقة، ما تعلمناه منك حول هذه الإنسانية، كيف يكون من الممكن، بأن أكون أنا أحسن تلاميذك، الذي يقف أمامك، بأن أكون أنا، الذي، ربط معلمه مثل حيوان، يعطي الأمر لإطلاق الرصاص عليه..؟
المدرس : ربما كان من الممكن، بأنني لم أكن مقتنعا ذاتيا حقيقة ما كنت أدرسه طوال حياتي، ولم أصدق كل ما كنت أقوله ـ

هربرت : على أية حال، من الممكن أن يكون هذا.
المدرس : إنني أعرف، بأن القدر ليس صدفة. والحقيقة أنه ليس صدفة، أن تكون أنت، هربرت، الذي ينفذ هذه الجريمة بي ـ
هربرت : كلا، لم يكن صدفة.
المدرس : كنت أتحدث، دائما، عن القدر، ولأول مرة أؤمن به!
هربرت : وهذا أيضا ليس قدر.
المدرس : وإنما..؟
هربرت : أنا الذي طلبت هذا.
المدرس : أنت..؟
هربرت : نعم، أنا.
المدرس : لماذا..؟
هربرت : لماذا.... هل تتذكر ذلك الصباح، عندما دخلنا غرفة المدرسين، كان الحديث يدور حول حرية العقل، الذي كنت تدرسه لنا، نحن جلبنا الكتاب المقرر وقلنا لك : هؤلاء السادة لا نريدهم قمنا بتهديدك، ومزقنا الصفحات، التي لن تعطينا الحق بها، أمام عينيك. وماذا فعلت أنت..؟
المدرس : لم يكن بوسعي الدفاع عن نفسي.
هربرت : ماذا فعلت..؟
المدرس : في ذلك الوقت، كنت مسؤولا على عائلة.
هربرت : أنت تسمي هذا عائلة، ونحن نسميه جبنا، كما كان قد تبين لنا. كنت معجبا بالقصائد الشجاعة لشعرائنا، وكنت أنا أحاول أن أعرف موقف أصدقائي من هذا العقل، الذين هم، أنفسهم، لا يملكون مثله، أصدقائي، الذين كانوا ينعتونه بالكذب والخدعة، كانوا أغبياء. ولكن... كيف كان موقف العقل منهم..؟ كنا نضرب، وكان العقل يذعن. كانت خيبة أمل! ورغم غباء الأصدقاء، إلا إنهم كانوا على الحق، لان كل ما تعلمناه كان كذب وخديعة.
المدرس : ولهذا نقف هنا..؟
هربرت : هذا الشيء الوحيد، الذي أصدقه، في هذه اللحظة، وكذلك بعدها، حينما ستكون ملقيا على هذه الأرض ـ
المدرس : ماذا..؟
هربرت : المجرم، كما تسميني، هو قريب من العقل، انه يتحداه عبر القوة، واقرب إليه من المدرس الذي كان يتحدث عنه ويكذب... هذا كل ما أردت أن أقوله.
المدرس : هذا كل شيء ـ
هربرت : أنا سأمارس القتل، حتى يخرج العقل من بين الظلام، إذا كان موجودا، حتى ينتصر علي.

سوف نلعن. نعم... كل العالم سيلعننا، قرون متوالية. ولكننا نحن الذين، أجبرنا الروح الحقيقية من الخروج إلى الضوء، نحن لوحدنا ـ إنه صدفة، بأن العالم لن ينهار معنا، لأن العقل الذي لا يقهر غير موجود.

يستدير...

التهيؤ لإطلاق الرصاص.

يبتعد...

المدرس : هذا كل شيء. هربرت الذي كان من أحس تلامذتي...

من البعد...

هربرت : أطلقوا الرصاص.

هدوء ...

المدرس : الآن أطلقوا الرصاص.

من بعد...

هربرت : اتبعوني : (مارش)
المدرس : الآن لم يسمعوني بعد...

ينهض دون أن يطرأ أي تغير عليه...

بنيامين : أعتقد، انه يرانا. حبذا لو يأتي معنا.
المدرس : هل ممكن أن تقول لي، أين نحن..؟
بنيامين : تعال معنا. هناك دير، هناك نخبز الخبز جميعا ـ
المدرس : من..؟
ماريا : كنت تقول دائما : انهم الشياطين، بودك أن تراهم، ولو مرة واحدة، وجها لوجه.

المشهد الأخير

في المقدمة يظهر جميع الذين بقوا على قيد الحياة : أدوار بلباسه العسكري، توماس الذي يحمل بيده إكليل من الورود، جيني وقد تحجبت بحجاب أسود ومعها طفليها.
جيني : هنا يرقدون إذا...

أدورد : لم يذهب موتكم عبثا.
جيني : في الليلة الأخيرة، التي التقينا فيها، لم يتكلم أبدا. لم أعرف لماذا. لقد كان صامت بشكل...
أدوارد : لا تشغلي بالك بهذا، يا عزيزتي جيني!
جيني : لو يعرف، بأن بيتنا، أيضا، قد حول إلى أنقاض! بيتنا الجميل الكبير، الذي كان أجمل بيتا في مدينتنا، هكذا كان الناس يقولون، عندما كانوا يتطلعون إليه. كان هذا البيت واحد من طموحاته.
أدوارد : سوف نعيد بنائه ثانية، ياجيني!
جيني : هكذا، كما كان في السابق..؟
أدوارد : بالضبط هكذا. ـ

إلى توماس، الذي يحمل الإكليل

لماذا تهز رأسك..؟

توماس : ليبقى في ذاكرتنا، مثل ما رأيناه في اللحظات الأخيرة، وهكذا يجب أن يبقى. ليرقد هنا بأمان. لو كان باقيا على قيد الحياة، لكان قد أعاد البناء بطراز آخر.
أدوارد : أعطني الإكليل ـ
توماس : يقال، يرقدون هنا مجموعة من الأسرى. واحد وعشرون شخصا من القرية ويقال، أيضا، إنهم كانوا يغنون، حينما أطلق الرصاص عليهم ـ
جيني : يغنون..؟
توماس : هل تعرف، ماذا يسمونهم الناس..؟ الآن يغنون ثانية! يغنون، دائما، إذا سمعوا إطلاق الرصاص أو إذا أضطهد أحد ما... الآن يغنون ثانية!

يسمع غناء الأسرى.

يقال، انهم كانوا واحدا وعشرين...

خلف الأحياء تظهر طاولة وحولها الأموات : واحد وعشرون أسيرا في صف واحد، الخبز بأيديهم وأفواههم مغلقة. من البعد الراهب، وهو يهيأ الطعام للطيارين الذين أسقطت طائراتهم، ماريا، المدرس، وكارل، الذي لازال يركع أمام الأسرى. يداه أمام عينيه. إلا أن الأحياء لا يروهم...
ادوارد : أيها الرفاق، لو تعرفون، بأن الحرب قد انتهت وأن النصر من جانبنا ـ
الآمر : هذه جيني، زوجتي. جيني مع الأطفال. يسيرون في الشارع، جيني في السواد ـ
الطفل : ماما، لماذا تبكين..؟
جيني : هنا والدك، أيها الصغير، هنا والدك!
الطفل : أنا لا أراه.

جيني : ليس من الممكن أن تراه بعد الآن ـ

جيني تذرف الدموع، الآمر يتقدم نحوها من الخلف.

الآمر : جيني، كلمة واحدة، قبل أن تستمري في السير.
جيني : آه ياإلهي، أه يا إلهي!
الآمر : كان من المفروض أن نغير طريقة حياتنا وتعاملنا مع الآخرين، يا جيني. كان باستطاعتنا أن نفعل هذا.
جيني : أين هي الزهور، أيها الصغير، أين هي الزهور..؟
الطفل : إنها مبللة تماما، ياماما ـ
الآمر : بيتنا، ياجيني، لا تعيدين بنائه ثانية!
جيني : يا لها من أزهار جميلة...
الآمر : هل تسمعيني، ياجيني..؟
جيني : ضعها هناك...
الطفل : أين، ياماما..؟
الآمر : بيتنا، ياجيني، لا تعيدين بنائه ثانية! نحن لم نكن سعيدين به، لم نكن أبدا. كان بالإمكان أن
نكون ـ

الأزهار التي كان يحملها الطفل وضعت على الأرض.

جيني : كم سيكون سعيدا، والدك، لو كان يرى هذه الأزهار! وأن يراك.
الطفل : ماما، أنت، التي أعطيتيها لي.
جيني : عليك أن تصبح رجلا مثله ـ
الآمر : جيني!
جيني : كنت أمله الذي يحمل كل ما كان يصبوا إليه ـ
الآمر : ألا تسمعيني، ياجيني..؟
جيني : كان فخورا، معتزا، بكل ما يقوم به من عمل، هكذا كان والدك في حياته ـ
الآمر : كل ما فعلته كان خطأ تقريبا!
جيني : أنت، ابنه، ستسير على نفس المنوال الذي سار عليه!
الآمر : جيني -
الطفل : أتبكين ثانية يا والدتي..؟

جيني تغطي وجهها وتستدير.

الآمر : أنها لا تسمعني، يا أبي. قل لهم! عليه أن يقص صوف الغنم، وليس من المفروض أن يكون الوارث. قل لهم : سيكونون أفضل من الآخرين، لو إنهم منعوا أو حرموا كل ما هو غير إنساني، وإذا ما فعلوا هذا سيكونون هم الاحسن.
الراهب : انهم لا يسمعونك.
الآمر : ناديهم!
الراهب : سيأتي اليوم الذي سيسمعونك، حينما يكونوا قد ماتوا.

يضع أدوارد إكليل الزهور.

عامل اللاسلكي : الآن يضعون الإكليل! كي يخففوا العبء عنهم. وحينما يذهبون، سيضعون الشريط، أيضا، بشكل، حيث يكون بإمكان الإله قراءته.
أدوارد : زملاء، لقد حان الوقت، كي تكون الإدانة! ويكون الثأر. كنت على حق، انه من المستحيل أن يكون سلام مع الشيطان. لو لم أفقد والدي ووالدتي، لكانوا، حتى الآن على قيد الحياة. وكنت على حق، أيضا، حينما قلت:إنهم شياطين!
عامل اللاسلكي : أدوارد -
أدوارد : أيها الزملاء...
عامل اللاسلكي : ما يعنيه الآن، وكأنه كان يشاركني نفس الرأي.
أدوارد : كل ما سنفعله في المستقبل، سيكون باسمكم! سيف الحكم بين أيديكم! حان الوقت للإدانة، التي لا يمكن التغاضي عنها.

أدوارد يضع سيفا عسكريا بجانب الإكليل.

عامل اللاسلكي : نحن لا ندين أحد، ياأدوارد، وهذه هي الحقيقة. نحن نبحث عن الحياة، التي كان من الممكن أن نعيشها سوية، وهذا كل شيء . هل وجدناها، حينما كنا على قيد الحياة..؟
أدوارد : بهذا المدلول، أيها الزملاء، نترك قبوركم، وليس ذكراكم، أن موتكم لم يذهب عبثا.
الآمر : انه كان عبثا.
أدوارد : هذا وعد علينا!
الآمر : انه كان عبثا...

أدوارد يتراجع، عن الإكليل، إلى الخلف، ويبدو أن الحزن قد خف عنه بعض الشيء. يضع قبعته على رأسه.

عامل اللاسلكي : أبي - يصنعون من موتنا، ما يحلوا لهم، وينفعهم. يأخذون الكلمات من حياتنا، ويصنعون منها وصية، كما يسمونها، ولا يتركونا أن نكون أنضج منهم.

أدوارد يقدم ذراعه إلى جيني. الصوت يتغير.

أدوارد : هل نذهب..؟
جيني : بالطبع...
أدوارد : قبل أن يخيم الظلام.
جيني : أن سلواي الوحيد، إننا سنعيد بناء كل شيء، كما كان في السابق ـ
أدوارد : هكذا بالضبط.
توماس : مع الأسف...
أدوارد : لنذهب، كي نأكل. فنحن لدينا الوقت الكافي.

يبتعدون. الآمر:أزهار ملقاة الأرض مخلفيها من ورائهم.

الآمر : كل شيء كان عبثا.
الراهب: لا تحزالخبز. الآمر. سنخبز كثير من الخبز. الموت،عبثا.... الموت، الحياة، النجوم في السماء، حتى هم. الراهب:ن أن يكونوا غير هذا.
بنيامين : والحب..؟
الراهب : الحب جميل.
بنيامين : قل لنافقط، أبي، فيما إذا كان الحب عبثا أيضا..؟
الراهب : الحب جميل، يابنيامين، الحب قبل كل شيء. انه يعرف لوحده فقط، ما هو العبث، وانه لوحده لا يشك بهذا.

يعطي الإبريق إلى الآخر. يشتد الغناء.